

الترجمة فى العالم العربى

الواقع و التحدى

فى ضوء مقارنة إحصائية واضحة الدلالة

شوقى جلال



الترجمة فى العالم العربى

الواقع والتحدى

فى ضوء مقارنة إحصائية واضحة الدلالة

شوقي جلال



١٩٩٩

إهداء

إلى من يؤرقهم فعل الحاضر
وحلم المستقبل....
حاضر ومستقبل الوطن والإنسان

شوقى جلال

المحتويات

مقدمة

الترجمة عنصر أساسى من بين عناصر الفعالية الاجتماعية النشطة، فعالية قائمة على المعرفة العلمية... انتاجاً لها، وبحثاً عنها، وتسامحاً معها، وإيماناً بها أساساً للبناء والتجديد. فحياة العصر، بل الحياة الاجتماعية فى كل العصور هى قبول للتحدى الوجودى تأسيساً على المعرفة الاجتماعية وإبداع الجديد... ليس فى التاريخ مجتمع ضمن بقاءه ووجوده اقتداء بآخر، أيا كان هذا الآخر فى الزمان أو فى المكان، يسلم إليه الزمام، ويرتضى حياة الاطراد العشوائى، كأنما أقال العقل الباحث... فمثل هؤلاء خارج التاريخ... وإنما ضمان الحياة هو اطراد البناء الحضارى؛ وهو بناء متجدد أساسه المعرفة إبداعاً ذاتياً، واستيعاباً لمعارف الآخرين فى إطار من التنافس ونزوع إلى التفوق.

وهذا الكتاب محاولة نقدية لسبر غور حياتنا الثقافية والفكرية من خلال مؤشر الترجمة وواقع حالها، بعيداً عن صخب الشعارات، ورطان النعرات، ودغدغة الوجدان... وإنما استنفار لقوى الفعل والتحدى فى ضوء الواقع وإن بدا أليماً، والتركة وإن كانت مثقلة إلا على أولى العزم... لهذا أود أن نقرأه وعيوننا على المستقبل وليس على الماضى... قد نرضى أو نهنأ بالقليل فى الحاضر قياساً إلى ماض حديث أو وسيط ساده الخواء الفكرى، ونظن، والظن هنا إثم، أننا أنجزنا، وحالنا أفضل، فنخطئ التمييز بين تحول حضرى بلغناه بفضل الغير، وتحول حضارى ننشده ولم نبلغه لأننا أخطأنا الوعى بأسسه، ولا يتحقق

إلا بفضل جهد الذات... لذلك أحاول هنا أن نرى صورتنا من خلال الآخر، ومقارنة به، لا تمجيداً له، وإنما حفزاً للذات؛ وحثًا على قبول التحدى، ودعوة إلى فعل اجتماعى على هدى واقع واضح البيان...

الكتاب يقول من واقع الإحصاءات أننا منصرفون عن القراءة وعن المعرفة الحضارية المعاصرة تحصيلاً وانتاجاً... وأننا لا نزال نعيش عصر الشفاهة... وهو ركون إلى فرد نظن به الحكمة المتفردة وامتلاك ناصية المعرفة، فيه الكفاية، وله الأمر... وتعطيل لفكر الإنسان العام... وبين هذا ومقتضيات التطور الحضارى العصرى أزمان... والكتاب يؤكد أننا لسنا دون الآخرين شريطة أن نعقد العزم اجتماعياً ونهئ أسباب النهوض... لا نتخذ الثقافة زخرفاً وزينة ولا الاستهلاك معياراً... ولكن نتخذ العلم منهجاً وثقافة ومناخاً وانتاجاً وتنظيماً للحياة... فهذه هى بطاقة الانتساب إلى العصر وتجاوز قرون التخلف... فالإنسان / المجتمع يعيش حياته بين أحد حالين... الوضع أو الحركة... الوضع سكون ورضاء بالموروث، وقناعة بحكمة القدماء... والحركة فعل نشط ركيزته إبداعات وإنجازات العقل فى مستوى العصر... وغذاء الحركة المعرفة فهى ضالة الإنسان / المجتمع إبداعاً وانتزاعاً أو استيعاباً من كل مصادرها شرقاً وغرباً داخل بنية حاضنة خصيبة. والحركة بهذا المعنى مؤشر الحياة على طريق الارتقاء... وبدونها استسلام للوضع... والثبات فى الطبيعة تحلل للعناصر وفساد للبنية.

والترجمة وإن كانت عنصراً واحداً إلا أنها عنصر كاشف لمجمل عناصر الصورة الكلية وحياتنا الاجتماعية الواقعية. إذ لا يوجد عنصر هو جزيرة مستقلة يمكن أن ينشط دون العناصر الأخرى، وإنما عناصر

البنية الاجتماعية جميعها تتحرك وتنشط فى تكامل وامتداد. ويتجلى هذا فى الإنسان / المجتمع أداة وهدفاً... والقصد من الحديث هنا عن الترجمة إنما شهادة على المجتمع فى شموله... وصورة حالة الترجمة هى تعبير عن حال أشمل وأعم، والنهوض بالترجمة لا يكون إلا حين ينعقد العزم على النهوض بالمجتمع فى ضوء صورة للمستقبل واضحة المعالم تؤكد عامل الانتماء، فتكون الترجمة استجابة لمطلب اجتماعى ملح وتكون دالة ووظيفة.

لم أشأ الحديث عن نهضة الترجمة فى العصر الكلاسيكى الإسلامى، فهذا كله معروف ومحفوظ، رددناه مراراً نلتمس فيه التعويض. ولكن قصرت الحديث عن واقعنا الراهن المجهول لإسقاط الغمامة عن العيون... المنطلق فهم الواقع دون زخارف... والغاية دعوة إلى تضافر الجهد لتدارك ما فاتنا وهو كثير... فالوجود عزم ومعاناة، وأبواب التاريخ مفتوحة فقط لصناع الحياة،

شوقى جلال

ما الترجمة... ولماذا؟

وجود الإنسـان / المجتمع وارتقاؤه اجتماعياً ونفسـياً وثقافـياً وفكرياً بل وبيولوچياً رهن العمل الاجتماعى العقلانى المجسد للمعرفة. وهذا النشـاط الاجتـمـاعى المزاوج بين العـمل والمعرفـة هـو مـا يـمنح الإنسـان / المجتـمع أقـوى أداة وأكبر إمكانات متـاحـة للسـيطرة على مصـيره أى للتـحرر وليكون له الخيـار فى تقرير مـستـقبله... ورصـيد المعرفة الاجتماعية هنا من مصدرين أولين متداخلين فى لحمة واحدة:

(أ) معرفة هى ثمرة العمل أو الانجاز الاجتماعى.

(ب) معرفـة هى ثمرة السـعى الاجتـماعى النشط بدافـع الفضـول لاكتساب خبرات الآخرين فى إطار المواكبة والمنافسة.

وبقدر فعالية الإنسـان / المجتمع بقدر ما يكون ثراء هذا الرصيد، وغنى الحوار، وبقدر ما يتجلى مرة أخرى فى قدرة الإنسان / المجتمع المتعاظمة على النشاط والحركة الهادفة المثمرة والإيجابية فى بيئته. إذ أن هذا النشـاط، وثراء الرصـيـد هو نشـاط مـعلومـاتى وثـراء مـعـرفى يصبان فى فعالية هادفة. وتعطل هذا النشـاط يعنى انحسـاراً ونكوصاً إلى مـعـارف مـوروثة مـقطوعـة الصلة بالحـاضـر ترسخ حـالة الغـربة الاجتماعية والانكفاء على النفس وفقدان سلاح معايشـة العصر ناهيك عن المواكبة أو المنافسة أو الصراع.

أقصـد بهذا أن الحياة المعرفية للإنسان / المجتمع هـى أولاً نشاط

اجتماعي إبداعي، وهي أيضاً تفاعل أو ترجمة متصلة نشطة فيما بين المجتمعات، وأنها هي عماد الحياة المجتمعية الفاعلة... ومن ثم تكون الترجمة توسيعاً لدائرة الحوار والمعرفة، وبالتالي توسيعاً لدائرة فعالية ومن ثم حرية الإنسان / المجتمع.

الترجمة بهذا المعنى هي حوار حضارات. وهو حوار شامل جميع مجالات المعرفة علوماً إنسانية وطبيعية. والترجمة أداة اكتساب وأداة تعبير عن عزم الإنسان / المجتمع على استيعاب أكبر قدر يعنيه باختياره وإرادته، من حصاد المعارف الإنسانية التي هي سلاح الإنسان في التطور والمنافسة والارتقاء والأخذ والعطاء على المستوى الحضاري تعزيزاً للوجود.

وحوار العصر حوار علمي منهجاً ولغة وفكراً وإنجازاً. وأريد بكلمة الحوار أن أتجاوز كلمة النقل الشائعة كمرادف للترجمة... إذ ليست الترجمة المنشودة مجرد نقل من لغة إلى لغة، عبارات مسطورة بين دفتي كتاب لا تخلق تياراً فكرياً ولا تدخل في نسيج رؤية للوجود والحياة ومن ثم تظل عاطلة من الطاقة الدافعة للحراك الاجتماعي. الحوار هنا هو حوار فكر وأفعال وإنجازات علمية تؤكد وجود الإنسان / المجتمع وجوداً فاعلاً ومؤثراً في العلاقات بين المجتمعات التي هي علاقات تنافس قد يتصاعد إلى حد الصراع وتكون الغلبة فيه للأقدر علمياً والأنشط عملياً... أي الأقدر على الإنجاز العلمي في شتى مجالات الطبيعة والمجتمع والنفس... والأقدر على إنجاز أكبر قدر من المعلومات الصحيحة، والأسرع كذلك في معالجتها وتوظيفها لأهدافه.

والحوار العلمى هنا مجلى للمنافسة وامتلاك واستراق أسباب تقدم الآخر فى مضمار المنافسة والتحدى والملاحقة والتجاوز... وأعنى بالحوار العلمى ذلك الحوار المرتكز على الجهد النسقى المنطقى المنظم منهجياً والمتبلور فى صورة نظريات هادية... ومن ثم يدور الحوار بلغة حضارة العصر أى بفكرها العلمى ومنهجها العلمى فى التفكير والبحث ويعلومها الأساسية ذات السيادة... وحوار اجتماعى على هذا المستوى لا يتوفر إلا بين أطراف يسهمون جميعاً بنصيب فى النشاط الاجتماعى العلمى وإبداع المنهج والنظريات.

وهكذا تغدو الترجمة، كنشاط اجتماعى، أداة المجتمع للتفاعل مع الجديد فى العلوم والفنون والإنسانيات، وتمثل عاملاً أساسياً ضمن مجموعة عوامل متكاملة للتقدم الحضارى. وباتت اليوم أكثر لزوماً مع السرعة المذهلة فى مظاهر التقدم العلمى والتقنى على المستوى العالمى. وتصبح الترجمة بصورتها هذه تعبيراً مكثفاً عن المجتمع فى تحولاته الإنسانية الشاملة وعلى المستويات كافة. ومن هنا وفى ضوء عرضنا التالى لواقع الترجمة فى العالم العربى، أرى الحديث عن الترجمة إنما هو دعوة لإعادة تكوين البنية الذهنية للإنسان العربى... تكويناً حضارياً من حيث المحتوى وآلية الاستجابة... فالإنسان العربى بوضعه وبحالة بنيته الذهنية وآلية ردود أفعاله غير مؤهل للتعامل مع التحديات الحضارية... وإن الحفاظ على البقاء هو تحد حضارى شامل لكل أنشطة وعلاقات حياتنا الاجتماعية التقليدية، وإن القدرة على مواجهة إسرائيل أو غيرها هى قدرة على مواجهة حضارية وليست عقائدية.

والصراع الحضارى ينطوى دائماً على صراع ثقافى بمعنى

الثقافة الأعم كإطار معرفى قيمى حاكم للسلوك الاجتماعى. والأساس العميق لهذا الصراع، كما يقول توينبى، هو آلية التحدى والاستجابة، وهى آلية مستمرة استمرار المجتمعات ومشروطة بظروف وملابسات التنشئة والنشاط الاجتماعيين. وها هو ذا التحدى ماثل بين ظهرانينا بل وفى داخل أراضينا من واقع التخلف... واقع مادى يحاصرنا ويأزمنا... والسؤال عن الاستجابة وعن المستجيب فكراً وتأهيلاً.

الفجوة بيننا وبين الآخر المتقدم فجوة معرفية أو معلومات منتجة وموظفة اجتماعياً بحيث نعيها ونستوعبها ونمارسها ونسهم فى إبداعها. التخلف الذى نعانيه قبل أن يكون اقتصادياً هو تخلف ثقافى معرفى لأنه تخلف عن حضارة عالمية تمثل فيها المعرفة العلمية القوة المحركة والدافعة... المعرفة العلمية منهجاً للتفكير، ولغة فى التعبير، ومبحثاً للنشاط الاجتماعى، وإطاراً للسلوك والتنظيم. وأصبح اللهاث وراء المعرفة، إبداعاً وترجمة، سمة العصر حتى بين أكثر البلدان تقدماً. لقد أصبحت الترجمة ممارسة وآلية يومية فى الدول المتقدمة لنقل إنجازات الآخرين إلى لغة العلماء والمتخصصين والممارسين من أبنائها. وها هى الولايات المتحدة الأمريكية لا تترجم فقط البحوث والدراسات المنشورة بلغات أخرى فور صدورها بل تترجم أيضاً تلك التى نشرت منذ قرون. وسبق أن طلبت بالفعل من مركز الأهرام للترجمة والنشر ترجمة كتاب عن الطب فى مصر الفرعونية وكتاب آخر عن الطب فى الدولة الإسلامية. معنى هذا أن الترجمة أداة الأمة على صعيد المنافسة الحضارية لتكون سباقة فى العصر وأيضاً مرجعاً للثقافة العالمية تنهل

منها الأمم الأخرى. وهذا عين ما فعلته أوروبا إبان نهضتها حين ترجمت دراسات العلماء العرب والمسلمين وحين استعادت ذخائر الإغريق عبر الترجمات العربية لها.

ونحن فى بلدان العالم العربى لن نستطيع أن نعيد تأسيس أنفسنا إنطلاقاً من معطيات ذاتية، واعتماداً على تراث علمى ثقافى موروث مضى زمانه، وبعيداً عن التواصل الحر مع الثقافات العالمية وآلية الإنجاز العلمى الحضارى العصرى: انفتاح على العالم، وانفتاح عقلانى نقدى على تاريخنا الحضارى بكل تنوعاته وتناقضاته منذ فجر الوعى الإنسانى... واستيعاب أو تمثل منهج ولغة التفكير العلمى والإنجاز... ومن شروط التفكير العلمى أن نملك إزاء تاريخنا وواقعنا والواقع الحضارى للآخر عقلاً علمياً ناقداً يشكل أساساً لرؤية مستقبلية واستراتيچية تنموية شاملة لجميع أنشطة وعلاقات المجتمع عند مستوى العصر، وهذه الاستراتيچية التنموية هى جهد قائم على الأخذ والعطاء أو لنقل جناحاها دراسة إبداعية جذورها نشاط اجتماعى انتاجى، وترجمة معبرة عن هذا ومتكاملة معه... ترجمة تأخذ عن وعى نقدى، وتنتقى وتحفز وتنهض بالمجتمع فكراً ولغة ونشاطاً متعدد المناحى، وتسهم فى صوغ منظومة معرفية قيمية تقف بالمجتمع نداً وكفؤاً فى ساحة النزال الحضارى وله استقلاله الحداثى معاً.

والهدف أن نبتكر صيغة لنهضتنا تتجلى فى علاقاتنا الاجتماعية على نحو جديد، وفى إنجازنا العلمى النظرى والتطبيقى على مستوى العصر، وأن يكون منطلقنا وعى علمى بواقعنا وقضاياه والتحديات

الماثلة ووعى علمى بالواقع الإقليمى والعالمى من حولنا وبكل ما يجرى على أرضنا وآفاق المستقبل. ولن يتسنى ابتكار وإنجاز هذه الصيغة إلا بفضل مجتمعى مؤسسى أى قائم على مؤسسات تحظى بحرية الفكر والتعبير كمناخ عام راسخ حقيقى وتحظى بحق التواصل العالمى الحر مع المجتمعات الأخرى... التى هى بدورها مجتمعات قائمة على مؤسسات متقدمة. ويترسخ هنا مبدأ حرية انتقال المعلومات وينهض كل مجتمع من خلال نشاط الترجمة بالحوار أى بالترجمة والتفاعل. ولهذا أضحت جهود الترجمة هى جهود مؤسسات ضالعة بدورها المميز فى استراتيچية التنمية والمواجهة الشاملة.

إن المجتمع لا يستطيع أن يصوغ مثل هذه الاستراتيچية ولا أن يصوغ صورة المستقبل، ولا أن يعيد بناء مؤسساته الداخلية لتكون أهلاً للمواجهة إلا إذا جرى تنظيم سياسته العلمية فى ضوء الصلات الثقافية الوثيقة بمؤسسات البحث العلمى فى البلدان المتقدمة واستيعاب إنجازاتها شريطة توفر مناخ محلى عام داعم وواع بالعلم قيمة وأداة ومنهجاً. ولن يتأتى هذا إلا بفضل سياسات ثقافية واقتصادية وإعلامية وعلمية وتعليمية تحشد الجهود ويكون الإنسان العام عنصراً إيجابياً حراً ومتحرراً من كل أسباب التجهيل والتضليل الإعلامى والأيديولوچى... أعنى حين يفكر أبناء المجتمع عبر الحقيقة وتأسيساً على رؤية علمية صحيحة وصولاً إلى هدف قومى يدعم الانتماء، ويشحذ الجهود، وتنتفى معه كل مشاعر الاغتراب... بحيث تكون الأمة فكراً وقيماً ووجداناً مؤمنة بالتقدم العلمى راغبة فيه، حريصة عليه، ومثقفة به

وواعية بكل ما يجرى على الساحة العالمية من أمور وثيقة الصلة.

وتمثل الترجمة فى إطار هذا التطور، مؤشراً على طبيعة واتجاه الحراك الاجتماعى وقوة الدفع ابتغاء النهوض أو اطراد التقدم ودالة على الوعى بالذات فى إطار المنافسة أو الصراع على الوجود أى باعتبار الترجمة بعامة، والترجمة العلمية خاصة، حسب مقتضيات حضارة العصر دالة على موقف وهدف اجتماعى استراتيجى ودالة على صدق العزم ومصداقية الجهد قياساً إلى عناصر التحدى... وشهادة التاريخ القديم والحديث والمعاصر أن ازدهار الترجمة واكب، إن لم يسبق حركات النهوض الاجتماعى، ولازم التقدم المطرد للمجتمعات...

شهادة التاريخ

شهادة التاريخ قديمة قدم المجتمعات فى التواصل ونقل الخبرات والمعلومات. إذ تشهد الوثائق والتسجيلات والنقوش كيف أن الحضارات القديمة في مصر وبابل والصين... إلخ قدمت إنجازاتها مترجمة إلى اللغات الأخرى ونقلت عنهم. مثال ذلك مخطوطات نجع حمادى التى تم العثور عليها مصادفة فى منطقة نجع حمادى في صعيد مصر عام ١٩٥٤ ويرجع تاريخها إلى ما قبل القرن الرابع الميلادى إذ تحتوى على ترجمات إلى اللغة المصرية القبطية لعديد من الدراسات والنصوص مثل فصول من جمهورية أفلاطون ونصوص زرادشتية بل ونصوص فلسفية يونانية قديمة كانت مفقودة... وهناك شهادة أواخر العصر الأموى فى عهد خالد بن يزيد الذى كرس حياته لدراسة علوم الإغريق وأمر بترجمة مؤلفات الكيمياء والطب، ثم شهادة العصر العباسى وقد تنوعت مصادر الترجمة من اللغات السريانية واليونانية والفارسية والهندية مما ساعد على النهوض باللغة العربية وأضحت لغة جميع الشعوب من بغداد إلى قرطبة بل ولغة العلم شأن اللاتينية بعد ذلك فى أوروبا. وهكذا تفاعلت الدولة الإسلامية فى عز نهضتها تفاعلاً إيجابياً مع الحضارات الأخرى المحيطة بها وإن كانت حضارات آفلة، ولكنه التفاعل الذى أكسبها منعة وقوة وضمن لها الحياة زمناً. ثم نشاط الترجمة فى الأندلس وعقب سقوطها مباشرة إذ تمت ترجمة علوم العرب إلى اللاتينية لتكون أساساً

لنهضة أوروبية. ونجد شهادة صدق أخرى فى مصر أيام محمد على ودور رائد النهضة الثقافية رفاعة رافع الطهطاوى ثم فى مطلع القرن العشرين مع زخم الدعوة إلى الاستقلال والنهضة إذ ازدهرت الترجمة آنذاك فى مصر وفى متصرفية لبنان وبيروت.

وشهادة اليابان حين اكتشفت جفاف ينابيع التقليد وقصور الموروث عن مواجهة الجديد وعقدت العزم على تجاوز هوة التخلف والانضمام إلى ركب التقدم. هنا أدركت وقررت أن العلم هو أداتها للنهوض شريطة أن تمتلك ناصيته. ومن ثم عنيت بتعليم اللغات الغربية فى اقتران بنهضة تعليمية ودستورية شاملة لبرامج التعليم وتنظيم المجتمع وصناعة العقل حيث احتلت العلوم مكانة متميزة وسامية. وجعلت اليابان فى عصر الميجى أو النهضة، العلم والتعليم ضمن خطتها التنموية الأشمل وسيلة لاكتساب المهارات والخبرات واتساع نطاق الحكمة وانتاج الموهوبين، أى جعلت العلم والتعليم أداة لبناء الإنسان القادر على تغيير المجتمع وبناء اليابان المعاصرة تحت شعار: "أمة غنية وجيش قوى". ونشطت حركة البعثات التعليمية والتكنولوجية، كما نشطت حركة الترجمة، ترجمة العلوم والمعارف العلمية النظرية والتطبيقية. وأصابت اليابان آنذاك، ولا زال، حمًى التهام ثقافة وعلوم وتكنولوچيا الغرب، وبذا تفتحت وازدهرت الذاتية القومية اليابانية فى صورة حضارية أصيلة ونهضت اللغة والفكر. وأقيمت فى اليابان مع بداية عصر الميجى المؤسسة الهولندية التى اضطلعت بأعباء إنشاء حركة ترجمة واسعة النطاق وقرأ اليابانيون إنجازات أعلام الفكر والعلم

ى أوروبا. وعقدت اليابان اتفاقات مع كبرى دور النشر العالمية لإصدار
لبعة باللغة اليابانية من إصدارات هذه الدور حال صدورها بلغتها
لأصلية. ويقدر عدد العناوين المترجمة فى اليابان آنذاك فى أوائل القرن
لعشرين بحوالى ألف وسبعمائة عنوان سنوياً. وهذا جهد مهول لا
يدانيه إلا جهد اليابان فى محو الأمية تماماً خلال بضع سنين والتوسع
ى إنشاء المؤسسات التعليمية والجامعات حتى سبقت فى هذا المضمار
كثر البلدان الأوروبية تقدماً آنذاك.

وكان هذا هو أيضاً حال الاتحاد السوفيتى السابق فى مستهل
نشأته حين عقد العزم على النهوض من وهدة التخلف وقبول التحدى.
فقد أنشأ لينين، ضمن استراتيجية شاملة جهازاً للترجمة ضم أكثر من
مائة ألف مترجم لنقل علوم الغرب إلى اللغة الروسية. وكان يشرف
بنفسه على هذا الجهاز الذى حقق المعجزة بأن أصبح الاتحاد
السوفيتى السابق موطناً للإنجاز العلمى. وتطورت اللغة الروسية لتكون
لغة العصر والعلم. وكان الاتحاد السوفيتى قبل انهياره يضم أكثر من
مليونى مترجم عن جميع لغات العالم. وما كان لهذا كله أن يتحقق لولا
تطوير جذرى عصرى للتعليم، ولولا اقترانه بنهضة علمية ودعم
المؤسسات العلمية، ولولا حشد جهود الترجمة والمترجمين فى وضع
مؤسسى مخطط ومنهجى ليكون نشاط الترجمة استجابة لحاجة
مجتمعية.

وهذا هو حال إسرائيل التى ظهرت إلى الوجود كمجتمع ودولة
بينما اللغة العبرية شبه ميتة وإذا بها تصبح لغة علم، وأضحت إسرائيل

قوة علمية وتكنولوچية، أو أصبح العلم قوة داعمة وأداة حماية تتحدى به كل من حولها. وعلى الرغم من أن نصف سكانها مهاجرين يجيدون لغاتهم الأصلية إلا أننا نجد حركة الترجمة نشطة للغاية. وهذا ما سوف نعرض له من خلال الدراسة الإحصائية المقارنة.

واقع العالم العربى

الترجمة فى التاريخ العربى موقف ثقافى اجتماعى من المعرفة انتاجاً وإبداعاً وتحصيلاً وتوظيفاً. والملاحظ أنه على الرغم من كل الزهو والتباهى بعصر الترجمة فى الدولة العباسية، على قصره الشديد بل وهامشيته، وكذا حقبة الترجمة فى العصر الحديث التى بدأت فى مصر مع مطلع القرن التاسع عشر إلا أن الترجمة كنشاط أو دور اجتماعى هادف لا تزال إشكالية أى قضية خلافية يتصارع بشأنها رأيان. فالترجمة بمعنى حق الأمة العربية فى أن تكثف سعيها لكى تنهل بحرية من معارف الآخرين ولا تقنع بما لديها، وكله موروث وليس بالجديد، يراها البعض غاية مرذولة وهدفاً خطراً عند الكثيرين... بينما يراها القليلون فرضاً واجباً وضرورة وهؤلاء هم دعاة التحديث الاجتماعى. ترى هذه القلة أن الترجمة شرط النهضة، بينما يرى الأكثرون من أهل التقليد أن العلم هو العلم الذى ينفع فى الآخرة... هكذا كان السلف فى زعمهم ومن ثم فإن الترجمة على إطلاقها هى عندهم عامل هدم وتغريب وفيروس سرطانى يتعين التحصن ضده أما كيف فذلك بأن نحتمى وراء أصالتنا أى ثقافة التقليد كأن الأصالة كينونة اكتملت مع الأقدمين، صاغها السلف، ومستقلة عنا نحن التابعين. ومع هذا يتحدثون عن نهضة وصحوة، بدون علوم الآخرين، حفاظاً على الذاتية التى هى ذاتية دينية سلفية. وكأن النهضة شرطها سد السبل ضد هذا الفيروس الوافد

اللعين وفرض حجاب على الفكر دون أسباب الغواية والتضليل التى هى علوم الآخرين. وتتضخم عقدة التمحور حول الذات وكأن ما قاله الأقدمون هو القول الفصل المبين ولا حاجة إلى مزيد... وهكذا يصدر الحكم إطلاقاً دون بيان أو تمييز [انظر أنور الجندى - حركة الترجمة - دار الاعتصام ١٩٧٩]... ونجد في المقابل من يرى فتح الباب على مصراعيه دون استراتيجية تنموية شاملة توجه خطانا وتستهدف الاندماج كعناصر مساهمة بفعالية وكثافة فى إبداع وإنجاز علوم العصر... وهنا يكون الهدف تجارة للاستهلاك لا دعامة للبناء.

وجدير بنا الإشارة هنا إلى الفارق بين الترجمة والتعريب حيث يعنى التعريب، الذى يدور بشأنه الحديث كثيفاً وملحاً فى بلدان المغرب العربى، الدعوة إلى استمرارية اللغة العربية لغة أم فى الثقافة والحياة تأكيداً للأصالة. ونجد هذا واضحاً فى البلدان التى خضعت للاستعمار الفرنسى الذى اتبع نهجاً محدداً هو الاستيعاب أى استيعاب مستعمراته وكأنها أجزاء من فرنسا بحيث تفقد هويتها ولغتها القومية. ونجد فى المغرب العربى من يدعو إلى الانفتاح على الثقافة العالمية بلغة أجنبية [الفرنسية] ومن ثم لا داعى للترجمة. ويرى البعض الآخر عدم الانفتاح والاقتصار على العربية. وهنا نجد المثقفين البرجوازيين فكراً وانتماء يرون أن لا حاجة إلى الترجمة. وهذا موقف يدعم التمييز النخبوى ثقافياً ويحول دون مقرطة الثقافة التى هى شرط للتحديث الاجتماعى.

والسؤال الأول عندى ونحن نجرى دراسة استقصائية تحليلية لحالة الترجمة فى بلدان العالم العربى: ما هو نصيبنا من الفكر العلمى

أخذاً وعطاء، ولن أقول التفكير العلمى المنهجى، وإن كان كل منهما شرطاً أو وجهاً للآخر؟... وما هو نصيبنا من الفكر العلمى العالمى ودوره الفاعل فى حياتنا (أعنى الترجمة العلمية) وليس نصيبنا من الإنجازات التكنولوچية وهى أيضاً وجه مكمل ومتكامل مع إبداع الفكر العلمى وقنعنا باستيرادها سلعاً استهلاكية؟... وكيف يجرى اختيار هذا النصيب الذى نحصل عليه شذرات لا نسقاً، بعدد الأفراد الذين حظوا بالاطلاع عليه؟ وهل يمثل الفكر العلمى المترجم، ركائز العلوم الأساسية البحتة والتطبيقية ويجسد عندنا دعامة أساسية فى بنية تنموية استراتيچية ورؤية مستقبلية لمجتمعاتنا العربية؟

ليست الترجمة كما قلنا نقل معارف فحسب بل تواصلاً حراً بين الحضارات. ولا يكون هذا التواصل مثمراً إلا حين تؤرقنا روح المغامرة الإنسانية التى يذكيها نهم معرفى لاستيعاب إنجازات وفتوحات العلم المرتكز على عبقرية الإنسان من أجل تغيير الواقع بإرادته! تغيير واقعنا الثقافى والبناء الاجتماعى بسبب حاجتنا الملحة إلى ذلك. وبذا نكون بنائين للحضارة عن وعى وإرادة وعقلانية... إننا قد ننقل نصوص النظريات أو المصطلحات ولكن يظل حديثنا بها رطاناً لأننا لا نستطيع أن ننقل الرأس المبدع ولا حياة وتاريخ النشاط الانتاجى الخالق له... وقد نستورد نظريات ومناهج التعليم ولكننا لا نستطيع أن نستورد الشغف بالعلم والنهم المعرفى أى روح التعليم ذاته.

والسؤال ما هو واقع الترجمة بعامة، والترجمة العلمية بخاصة فى عالمنا العربى؟

نبدأ الإجابة بنبذة سريعة عن الترجمة إلى العربية فى العصر الحديث.

يرجع تاريخ الترجمة فى العالم العربى خلال العصر الحديث أو مطلع القرن التاسع عشر أى بينما كانت لا تزال المجتمعات العربية واقعة تحت نير الحكم التركى الذى حاول فرض سياسة التتريك وجعل اللغة التركية هى اللغة السائدة فى الثقافة والحديث وفى الدواوين. وبرز هذا الاتجاه بوضوح فى بلدان الساحل الشرقى للمتوسط.

يبرز هنا مركزان للترجمة. متصرفية أو جبل لبنان أثناء الحكم العثمانى. وجاءت ولادة الترجمة هنا مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بحركة التبشير وفتح المدارس العربية لمواجهة سياسة التتريك ومن ثم إحياء أو الحفاظ على اللغة العربية. وتحول لبنان إلى أحد أبرز مراكز الحوار العربى الأوروبى. وأعلنت الجماعات التبشيرية التى توافدت على لبنان منذ القرن ١٨ أن رسالتها هى التنوير وإنشاء المدارس وتشجيع التدريس باللغة العربية. وكان واضحاً أن الهدف هنا هدف أوروبى ضمن الصراع بين سيطرة تركية متهاوية وبين قوى أوروبية استعمارية صاعدة ورأت سبيلها فصل المنطقة ثقافياً عن تركيا وتعزيز اللغة العربية أداة للثقافة، ولكن حرى بنا أن نشير إلى أن جماعات المبشرين لم يكونوا هم طليعة التنوير الحداثى فى أوروبا العلمانية العقلانية بل ارتبط معظمهم بالقوى الاستعمارية الساعية للسيطرة على البلدان العربية.

وقدمت لبنان بعد ذلك من خلال الجامعة الأمريكية فى مطلع القرن العشرين أعلاماً فى الفكر العربى من أمثال بطرس البستانى الذى

أصدر دائرة معارف البستانى، وأمين المعلوف الذى أصدر معجم الحيوان والمعجم الفلكى ومعجم النبات، وكذلك فارس نمر ويعقوب صروف وقد أصدرا مجلة المقتطف التى تضمنت الكثير من المقالات والدراسات المترجمة.

ولكن حركة الترجمة بمعناها الحقيقى كتيار اجتماعى نشط فى مجال ترجمة علوم الغرب بغية تحديث المجتمع فقد بدأت فى مصر منذ أن تولى محمد على السلطة ورأى أن سبيله للاستقلال بمصر تحديث جيشها ضماناً لمواجهة السلطان التركى. وعنى محمد على بإرسال البعوث إلى أوروبا لتلقى العلم ونقل العلوم إلى العربية. ويعتبر الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى بحق إمام التنوير والعلمانية إذ جعل الترجمة مؤسسة اجتماعية تعمل على تنفيذ مشروع قومى اجتماعى لتحقيق نهضة فى العلوم والصناعات.

ويعبر تاريخ الترجمة فى مصر عن حالة المد أو الانحسار للحياة الثقافية للمجتمع المصرى بل وللمجتمعات العربية فى سعيها من أجل الاستقلال والاندماج فى حضارة العصر. وقد ساهمت الترجمة من بداية تاريخها فى بلورة الاتجاهات الأساسية لحركة النهضة. وساعد على هذا ترجمة تيارات الفكر ومناهج البحث مما ساعد على علمية التوجه ومناقشة النثر الاجتماعى ورسم خطوات النهضة والارتقاء بالحوار والاطلاع على إنجازات العلوم ومناهج بحثها. وانعكس هذا كله على صفوة المثقفين وعلى حركة التثقيف العام للجميع.

بدأ تاريخ الترجمة فى العصر الحديث للعالم العربى انطلاقاً من

هذين المركزين مصر ولبنان مع اختلاف الحوافز والدوافع والمسار والفعالية الاجتماعية فى كل منهما. وتعثر نشاط الترجمة أو انحسر بعد ما أصابت النهضة انتكاسة بسبب الدور الاستعمارى الأوروبى والنظم الاستبدادية الأوتوقراطية من الداخل. ولكنها لم تنعدم وإن تغير مضمونها ومدى تشابكها فى النسيج الاجتماعى. وإذا حاولنا أن نجرى دراسة وثائقية تحليلية لنشاط الترجمة كماً وكيفاً فى البلدان العربية خلال الحقبة الحديثة والراهنة سنجد أن ذلك يكاد يكون ضرباً من المحال.

وهنا ننتقل إلى الوضع العربى الراهن للترجمة فى ضوء الدراسة الاستقصائية على أساس من المسح الميدانى. وقد لاحظنا ما يلى:

* إن أكثر البلدان العربية حديثة العهد بنشاط إصدار الكتب ناهيك عن الترجمة، بل إن بعض البلدان لا نجد لها اسماً على خريطة صناعة الكتاب تأليفاً وترجمة فى الإحصاءات الدولية... ويبدو وكأن غالبية البلدان العربية تعيش عصر الثقافة الشفاهية.

* الترجمة ترف فردى فى أغلب الأحيان، وجهد متباين التوجهات مما يعكس غياب رؤية عربية عامة تعى مقومات العصر ومقتضياته وتحدياته... عصر ثورة معلوماتية انتاجاً إبداعياً وتوظيفياً، وعصر إبداع علمى وتكنولوجى، والتزام بمنهج تفكير علمى...

* الكتاب المترجم لا يصل إلى أكثر من ٥٪ من إجمالى المنشور على المستوى العربى فى ضوء الإحصاء لعدد من دور النشر، وقد يصل

إلى صفر بالمائة بالنسبة للكتب العلمية المتعلقة بعلوم العصر الأساسية. والكتاب المترجم على المستوى الحضارى متعدد أو متنافر الاتجاهات والمستويات لا يكشف عن توجه مجتمعى غالب فى اتجاه العصر... وإنما كتاب يربطنا بل ويحصرنا فى ماضى سلفى على أساس أيديولوچى وقطيعة حضارية مع العصر... أو كتاب يربطنا بالعصر على أساس أن العصر عصر أعاجيب ومعجزات... أو كتاب معرفة استهلاكية... والقليل النادر الذى يصوغ ذهنية علمية إبداعية للإنسان ويحدثنا عن العصر منهج فكر ونظريات ويضعنا فى إطار معرفى / قيمى لحضارة العصر على نحو يحفزنا إلى البحث. ثم إن هذا الكتاب نراه متعثراً فى طريقه إلى القارئ العربى كأنه غريب فى بلد غريب... وحظه من توصيل المعرفة لا يتجاوز حدود الدهشة إذ يتلقاه القارئ على نحو ما يتلقى إعجازات الغيب التى لا تأخذ سمة التحدى الدافع إلى التطبيق.

* الترجمة جهد فردى وعلى الرغم من محدوديتها فإنها تتم بدون تخطيط وإنما انتقائية فردية على مستوى المترجم أو الناشر.

* الملاحظ أن ثمة حاجزاً فاصلاً كثيفاً بين بلدان ومثقفى العالم العربى وبين إصدارات العالم المتقدم دون أى محاولة مجتمعية منظمة لكسر هذا الحاجز أو زيادة درجة شفافيته وصولاً إلى تضييق الهوة المعرفية العلمية بيننا وبين العالم المتقدم. الأمر الذى يجعل من الضرورى ضرورة مطلقة سرعة بذل الجهد فى هذا الاتجاه من خلال مشروع "مؤسسة عربية للترجمة".

* من أخطر الظواهر أن القدر الأكبر من الترجمات الصادرة عن دور النشر هي ترجمات لحساب هيئات ومراكز رسمية أي دبلوماسية أجنبية [مركز الكتاب الأمريكي - البعثة الفرنسية - مؤسسة فولبرايت... إلخ] مما يعني غياب الرؤية والمصلحة القومية.

* لا توجد إحصاءات ببيلوجرافية شاملة ودقيقة عن واقع الترجمة خلال القرنين ١٩ و ٢٠ تكون أساساً للتحليل وتحديد رؤيتنا وإذا أخذنا مصر كمثال باعتبارها الرائدة والأكثر كثافة من حيث الانتاج نجد بين أيدينا "دليل الكتاب المصري" وهو قوائم الكتب المتاحة لدى الهيئة العامة للكتاب كجهة إحصاء باعتبار أنها الجهة الرسمية التي يودع لديها الناشرون إصداراتهم.

* غياب دليل للمترجمين العرب وتخصصاتهم. ولا يوجد غير دليل واحد أصدرته المنظمة العربية للتربية وهو قاصر ومبتسر نظراً لأن طريقة تأليفه تمت بتكليف جهات حكومية غير معنية بالنشر (جامعات وهيئات) والنتيجة أن أدرج أساتذة الجامعات والموظفون أسماءهم. وظل الدليل حبيساً وكأن لا أحد بعدهم منذ عشر سنوات.

* غياب جيل جديد من المترجمين الخبراء المجيدين والمتخصصين... إذ الملاحظ في السوق ذات الأسماء القديمة للترجمات الجيدة.

* الترجمات جلها في العلوم الإنسانية بالمعنى التقليدي [الأدب والسياسة والأيديولوچيا الدينية] أو كتب للتسلية أو كتب تعليمية لأنها

الأكثر رواجاً وربحية لدور النشر. والترجمة العلمية شبه غائبة. وما يوصف بالعلمية هى كتب عن نظم تشغيل أجهزة الكومبيوتر وإصلاح الڤيديو والثلاجة... إلخ

إحصاءات مصرية

إذا حاولنا الاسترشاد بحالة مصر تأسيساً على إحصاءات دليل الكتاب المصرى يبين لنا الآتى:

الثبت البيبليوجرافي للأعمال المترجمة فى مصر فيما بين ١٩٥٦ / ١٩٦٧ الصادر عن هيئة الكتاب ويحوى، كما تقول المقدمة "الجديد لما ترجم فى بلدنا خلال سنوات ١٩٥٦ ـ ١٩٦٧" أى على مدى أحد عشرة سنة نلحظ الآتى:

جملة العناوين المترجمة ٤٢٦١ عنواناً أى بمتوسط ٤٠٠ عنوان فى السنة.

من بينها

٢٧٤ عنواناً [أى أقل من ٦٪ وحوالى ٢٧ عنواناً فى السنة] رياضيات وعلوم بحتة

١٨٥ عنواناً [أى أقل من ٥٪ وحوالى ١٨ عنواناً فى السنة] علوم تطبيقية ـ طب وزراعة وصناعة وتكنولوچيا.

٣٨٠٢ [أكثر من ٨٠٪ وحوالى ٣٨٠ عنواناً فى السنة] إنسانيات غالبيتها أدب وديانات وتاريخ وتراجم.

دليل الكتاب المصرى لعام ١٩٧٩

جملة الإصدارات فى جميع التخصصات مؤلفة ومترجمة

١٥٤٢٧ عنواناً

من بينها علوم بحتة وتطبيقية مؤلفة ومترجمة ٦٤٩ عنواناً (حوالى ٥٪)

إصدارات العلوم المترجمة ١٤٥

مع ملاحظة أن الإحصاء هنا شامل الإصدارات الموجودة فى السوق منذ الخمسينات بمعنى أن عدد الإصدارات ليس إصدارات ١٩٧٩ بل أكثر من عشرين عاماً ولكنه لا يزال متاحاً.

ومن بين هذه القائمة ٣٣٩٣ ديانات أى حوالى ٢٥٪

من بينها ٢٠ عنواناً مترجماً

و ٣٢٦٧ علوم اجتماعية منها ٢٨٦ مترجماً

دليل الكتاب المصرى عام ١٩٨٣

[الحصر هنا متداخل مع الدليل السابق]

٥٩٤ عنواناً علوم بحتة مؤلفاً ومترجماً [بأقل من ٢,٥٪]

من بينها ٧٩ عنواناً مترجماً

١٨٢٦ عنواناً علوم تطبيقية مؤلفاً ومترجماً

١٩٠٠٠ عنواناً فى الإنسانيات مؤلفاً ومترجماً

من بينها ٣٨٠٧ ديانات [٢٨٠ مسيحى - ٣٥٢٧ إسلامى]

٨٦٤ فلسفة

٦٦٤٢ علوم اجتماعية

٣٩٩٦ آداب

٢٦٠٠ تاريخ وتراجم... إلخ

دليل الكتاب المصرى عام ١٩٩٠

يضم أكثر من ٦٢٠٠ عنواناً مؤلفاً ومترجماً فى جميع التخصصات

[هى إصدارات سنوية سابقة]

٣٥٠ عنواناً مؤلفاً ومترجماً فى العلوم البحتة والعلوم التطبيقية كمثال:

الطب النبوى - إصلاح التليفزيون - العلاج بالأرواح - الطب الروحانى - الجبن الدمياطى وصناعته - الرضا لمن يرتضى.

٢٤ عنواناً كتباً علمية مترجمة.

دليل الكتاب المصرى ١٩٩٣

ضم أكثر من ٣٥٠٠ عنواناً مؤلفاً ومترجماً [لعدة سنوات]

من بينها ٢٠٠ عنواناً مترجماً

و ٢٥ عنواناً مترجماً فى مجال العلوم الرياضية والبحتة والتطبيقية.

ونلاحظ على ما سبق:

ضآلة عدد العناوين المترجمة إجمالاً وهو ما سوف يتضح لنا من خلال الدراسة المقارنة وهو ما أكدته لنا عملية المسح الميدانى لنشاط الترجمة فى البلدان العربية. والترجمة العلمية هزيلة جداً بل هى خارج الإطار الحضارى وبعيدة عن ترجمة أساسيات الفكر العلمى الذى يضعنا على عتبة العصر ويدفع حركة التقدم ويصوغ نظرة شاملة إلى الحياة، الإنسان والمجتمع والكون، ويرسخ أسس العقل النقدى والتفكير العلمى كتكوين ذاتى قادر على مواجهة واقع متغير فى استجابة ملائمة للتحديات. وأكثر من هذا أن الإنسانيات التى يغتذى عليها العقل العربى ليست تطبيقاً للمنهج العلمى فى التفكير والتحليل لتسهم فى صوغ إنسان قادر على تحقيق ذاته والتلاؤم الحضارى، أى قادر على النمو والتقدم على مستوى حضارة العصر. وإذا ما استعرضنا الإصدارات المؤلفة والمترجمة منذ الأربعينات ومشروع الألف كتاب الأول حتى اليوم نجد انحساراً واضحاً فى نوع وكم الكتب ذات التوجه العلمى الحضارى من حيث النسبة العامة. وتكفى هنا الإشارة إلى تحقيق نشرته صحيفة الأهرام [ملحق ١٩/٥/١٩٩٥] يعلن أن آخر إحصائية أصدرتها دار الكتب تشير إلى أنه قد صدر خلال العام الماضى وحده أكثر من ثلاثة آلاف كتاب تحمل عناوين الدجل والشعوذة يتم تداولها الآن مع الباعة وفى المكتبات، وتتناول ما يسمونه العلاج الروحى. هذا فى الوقت الذى لم يصدر فيه كتاب واحد يواجه هذا السيل من كتب

الدجل والشعوذة التى تخرب عقل القارئ المصرى. وإذا كنت قد اكتفيت الآن بعرض حال المنتج المصرى عدداً ونوعاً فذلك لأن العينة المصرية هى الغالبة قياساً إلى حجم المنتج العربى بعامة إذ تكاد تكون مصر قبل ثلاثة عقود هى البلد الوحيد مع لبنان المنتج للترجمة.

والملاحظ عموماً أن الترجمة فى عالمنا العربى أضحت نوعاً من الترف الذهنى فى الغالب الأعم للاستهلاك أو إنها مجرد جهد من أجل نقل معلومات فحسب، وتخضع لمبدأ الربح التجارى. إنها تفتقر إلى البرامج على المستويين القطرى والقومى ومن ثم لا علاقة لها بمحاولة منهجية لدراسة الواقع بلغة التطور أو التطوير الاقتصادى الاجتماعى الثقافى. إنها لا تخضع للتخطيط بل هى نشاط عفوى ارتجالى وتجارى بمعنى أنها لا تعبر عن نشاط اجتماعى فى صلب حراك مجتمعى هادف يسهم فى الانتقال بالمجتمع من حال إلى حال آخر، أى من طور التخلف إلى طور النهوض حسب رؤية مستقبلية مدروسة مسبقاً وتصوغ الوعى الاجتماعى. ولكى يكون للترجمة دورها لابد وأن تكون نشاطاً اجتماعياً مؤسسياً يمثل عنصراً متكاملاً فى استراتيجية ثقافية هى بدورها وجه لاستراتيجيات تنموية شاملة، وبهذا الشكل تشكل تياراً سائداً، وجناحاً آخر للإبداع الداخلى بحيث يعبران معاً عن التوجه الفكرى والتنموى للمجتمع فى حركته المستقبلية. ومن ثم تكون الكتب المترجمة دالة وشاهداً على المضمون الفكرى للتطور الاجتماعى والبناء الحضارى للذاتية القومية فى اتصالها التاريخى وتواصلها الحضارى الإنسانى.

معوقات الترجمة

أزمة الترجمة هى أزمة مجتمع. وإذا كان لنا أن نحدد طبيعة المعوقات فى ضوء دراستنا الميدانية فإننا نجملها فيما يلى:

١ ـ فقدان خطة أو استراتيچية تنموية شاملة تعبئ طاقة البلد أو البلدان العربية وتكون أساساً لنشاط علمى مجتمعى إبداعى. وتشكل هذه الاستراتيچية الأساس المجتمعى المادى لحرية الفكر والإنسان. وهذه هى أيضاً مشكلة القارئ واللغة والكتاب.

٢ ـ الثقافة والتنمية الفكرية العقلانية العلمية تحتل، إن وجدت، مرتبة ثانية.

٣ ـ التنشئة الاجتماعية التى ترسخ حالة الانحصار الذاتى وتقتل الفضول المعرفى وروح المغامرة والتمرد.

٤ ـ النظام التعليمى الذى يعتمد على الحشو ولا ينمى القدرات العقلية والفضول المعرفى والنهج العلمى والتحصيل الثقافى وأيضاً عدم الاهتمام باللغات. والقيمة العليا فى التعليم هى لاستظهار النص.

٥ ـ الطابع الفردى فى اختيار الموضوعات وكذا على مستوى النشر فضلاً عن أولية اعتبار الربح.

٦ ـ عدم توحد المصطلح العربى.

٧ ـ التخلف الحضارى والعلمى (ومن مظاهره شيوع أمية القراءة والكتابة، ناهيك عن أمية التعامل مع تكنولوچيا المعلومات المعاصرة واستيعاب دلالة ومحتوى هذه المعلومات ومواكبتها وسيادة نزوع هروبى باسم القناعة بعلوم السلف أو أسلمة العلوم).

٨ ـ عدم توافر القواميس العلمية، وهذا طبيعى نظراً لعدم حاجة النشاط الاجتماعى السائد والفكر المتخلف لمثل هذه القواميس.

٩ ـ الافتقار إلى تنظيم مؤسسى للمترجمين يكفل حقوقهم ويرتفع بمستوى الأداء والعطاء.

١٠ ـ الأمية العلمية والثقافية وأهم مظاهرها تدهور قيمة العلم اجتماعياً وشيوع الخرافة والدجل والشعوذة.

١١ ـ الافتقار إلى التمويل فى بعض البلدان وإن كانت جميعها تعطى أولوية لأمور أخرى مظهرية ولا تعتبر الثقافة، ومن بينها الترجمة، استثماراً انتاجياً اجتماعياً بعيد المدى.

١٢ ـ الجامعات ومراكز البحث ليست على مستوى المنافسة العالمية وهو ما يتمثل فى انتاجها وإسهاماتها فى المؤتمرات العلمية العالمية.

١٣ ـ لعل من أهم معوقات الترجمة العلمية أو الانصراف عنها أن الترجمة العربية لا تزال تفتقر إلى البرامج على المستويين القطرى والقومى أعنى كفالة وحدة اللغة والفكر قومياً... والقدرة على الإسهام الحضارى عالمياً انطلاقاً من تأكيد الذاتية القومية. وحرى بنا أن نطرح السؤال التالى:

كيف نسهم فى بناء الذات دون دراسة الواقع بلغة التطور الاقتصادى والاجتماعى والثقافى بمنهج علمى، ودون رؤية مستقبلية ودون قارئ ناضج علمياً أو يفكر علمياً ونهج للمعرفة تواق للاستكشاف والبحث... من هنا نجد ضرورة إنشاء مؤسسة عربية للترجمة... وفى ضوء هذا يتحدد دورها القومى.

وفى ضوء ما سبق يبين أن ازدهار حركة الترجمة رهن وضع استراتيچية تستهدف ازدهار المجتمع والإنسان مادياً وفكرياً وأن تعبر عن زخم أو قوة دفع وحراك فى المجتمع. إننا ونحن نفكر فى الترجمة يجب أن نفكر فى القارئ - الذى هو المجتمع - ومشكلاته وأثر بيئته عليه سلباً وإيجاباً.

ونشير هنا على سبيل المقارنة والتحدى، إلى أن إسرائيل التى كانت تعى حتى وهى لا تزال مجرد حركة صهيونية وقبل أن تكون دولة، كانت تعى مقتضيات التحدى الحضارى وبناء قاعدة علمية نظرية وتطبيقية تكون ركيزتها وأساسها. إذ عنيت بإنشاء الجامعات ومراكز البحوث وأصبح لديها ضعف ما لدى أفريقيا كلها أو أمريكا اللاتينية كلها من العلماء الذين ينشرون أبحاثهم. كذلك فإن العلماء الإسرائيليين وهم أساتذة جامعات ومعاهد بحوث لا يتركون مؤتمراً علمياً ينعقد دون أن يشاركوا فيه بعدد كبير من أوراق البحث. ويحرصون على التواصل عن بعد وعلى الاتصال المباشر بعلماء وجامعات البلدان المتقدمة وتبادل المعلومات. ويحظى أساتذة العلوم الأساسية بأطول الأجازات لمعايشة البحث العلمى والعلماء فى الخارج. وهكذا تعبر الجامعات والمعاهد

ومراكز البحوث عن مجتمع يموج بالحركة والنشاط العلميين مما يجعل العلم يحتل مكانة أولى على عكس الحال فى البلدان العربية إذ نرى هذا الضرب من النشاط محدود جداً [أنطوان زحلان - العلم والتعليم العالى فى إسرائيل، ترجمة محمد صالح العالم - دار الهلال - ١٩٧٠].

١٤ - الملاحظ انحسار نشاط الترجمة بعامة في بلدان المغرب نظراً لأن البرجوازية المثقفة تجيد، بحكم النظام التعليمى فى ظل الاستعمار الفرنسى، اللغة الفرنسية. لذلك نرى هذه الفئة تعرب عن عدم الحاجة إلى الترجمة. ويعيش المجتمع بلغتين مما يفضى إلى شيوع الجهل بالحضارة وعلومها بين من يتحدثون لغتهم الأم فقط سواء من العرب أم من الأمازيغ [البربر]. هذا علاوة على انحسار سوق التوزيع والانصراف عن القراءة العلمية وهى آفة شائعة فى جميع البلدان العربية.

١٥ - الملاحظ أن كتاب المشرق لا يجد سبيله إلى المغرب والعكس صحيح، على الرغم من أن الثقافة أداة لتوحيد الوجدان العربى. وأحد أسباب ذلك الافتقار إلى نظام توزيع وتنسيق شاملاً بلدان العالم العربى. وطبيعى أن هذا يؤثر على رواج الكتاب المترجم.

الجامعة العربية والترجمة

عند الحديث عن الترجمة من حيث دورها الثقافى النهضوى وفعاليتها الاجتماعية لا يسعنا أن نغفل دور الجامعة العربية ووعيها بدور الترجمة، وكذا جهودها فى سبيل إصلاح هذا الوضع المتدنى. ولا سبيل إلى إنكار أن ثمة وعياً عربياً بهذا القصور الشديد حيث أن الجامعة العربية هى تجسيد للمسئولين الرسميين فى الأقطار العربية ومن ثم جهودها تعبير عن رغبة أو فكرة جرت مناقشتها وألحت على الأذهان. ولكن سوف نكتشف عادة سائدة فى حياتنا وهى الفصل بين الفكر والفعل.

هناك مرحلتان للترجمة تحت رعاية الجامعة العربية تعكس صورة صادقة للوعى بالوضع الثقافى العربى وحالة الترجمة. المرحلة الأولى مع الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية. وقد أنشئت هذه الإدارة فى منتصف الأربعينات بناء على المعاهدة الثقافية المبرمة بين الدول العربية عام ١٩٤٥ ، وتنص المادة السابعة من هذه المعاهدة على "تنشيط الجهود التى تبذل لترجمة عيون الكتب الأجنبية القديمة والحديثة، وتنظيم تلك الجهود، وتنشيط الانتاج الفكرى فى البلاد العربية بمختلف الوسائل".

وضمت الإدارة الثقافية عدداً من أئمة الفكر العربى المستنير من أمثال طه حسين وسليمان حزين وغيرهما. وعنيت الإدارة بموضوع

الترجمة، واتجهت إلى ترجمة بعض الأعمال الثقافية والعلمية والأدبية. وصدر عنها عدد قليل من أمهات الكتب العالمية من بينها على سبيل المثال "الحضارة" تأليف ويل دورانت، وكتاب "السلطة والفرد" تأليف برتراند رسل، وكتاب "العلم والموارد فى الشرق الأوسط"... إلخ. وكانت تعتزم بناء على اقتراح طه حسين ترجمة روائع الأدب العالمى الخالدة وأن تبدأ بأعمال شكسبير ولكنها توقفت.

المرحلة الثانية تأتى عقب توقيع ميثاق الوحدة الثقافية العربية الذى أقره مجلس جامعة الدول العربية عام ١٩٦٤ وتضمن الدعوة إلى ما دعت إليه المعاهدة الثقافية المبرمة عام ١٩٤٥، أى الدعوة إلى تنشيط الترجمة والانتاج الفكرى. وأضاف الميثاق الدعوة إلى توحيد المصطلحات العلمية والحضارية ومساعدة حركة التعريب. وتحولت الإدارة الثقافية عام ١٩٧٠ إلى "منظمة التربية والثقافة والعلوم" اقتداء بمنظمة اليونسكو العالمية وتم وضع دستور لها. ونذكر من بين الأعمال التى اضطلعت بها:

١ - الدعوة فى عام ١٩٧٢ إلى عقد حلقة الترجمة فى الوطن العربى وانعقدت فى الكويت فى ١٩٧٣/١٢/٣١. وبحثت الحلقة فى "تنسيق حركة الترجمة فى البلاد العربية، وإقامة جهاز تنسيق على صعيد العالم العربى يتولى وضع خطة قومية للترجمة بالاشتراك مع الأجهزة الوطنية وبالتنسيق مع المنظمات الدولية والمؤسسات العلمية الأجنبية المعنية بالثقافة العربية".

٢ - انشئت بالفعل وحدة للترجمة عام ١٩٨١ ووضعت هدفاً لها:

(أ) إقامة مشروع المعهد العالى العربى للترجمة. وقد استضافته الجزائر ولم يفتح.

(ب) انتاج الترجمات. وأنشئ المركز العربى للتعريب والتأليف والترجمة. وقد استضافته سوريا ولكنه بدأ العمل منذ ١٩٩٠.

(جـ) التنسيق والتخطيط من أجل

* نشر دراسات عن واقع الترجمة فى الوطن العربى.

* إصدار دليل المترجمين ومؤسسات الترجمة والنشر وقد صدر.

* نشر الخطة القومية للترجمة ونشرت عام ١٩٨٥.

٣ ـ وفى الفترة من ٨ إلى ١١ نوفمبر/ تشرين الثانى ١٩٨٢ عقدت أمانة المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب بالكويت الندوة الثانية بالتعاون مع المنظمة العربية للتربية والعلوم واتحاد الناشرين العرب. وأصدرت الندوة توصيات من بينها:

(أ) إنشاء مؤسسة عربية للتعريب والترجمة والتأليف والنشر تكمل عمل المؤسسات القائمة.

(ب) تنفيذ الخطة القومية للترجمة التى أقرتها المنظمة العربية عام ١٩٨٢، وأقرها من بعدها مؤتمر الوزراء المسئولين عن الشئون الثقافية عام ١٩٨٣.

٤ ـ فى محاولة من المنظمة لدراسة واقع الترجمة وجمع المعلومات

أرسلت استبانات تتضمن عدداً من النقاط والأسئلة ولكنها تلقت إجابات سبع دول فقط. علاوة على هذا توقف المشروع فى أواخر عام ١٩٨٥ بسبب إلغاء وحدة الترجمة بإدارة الثقافة. ولوحظ أن الجهات المختصة فى الدول العربية لم تبذل الجهد اللازم لتنفيذ الخطة. ويكفى الإشارة إلى أن عدداً من الدول العربية لم يعبأ بالرد على الاستبانات المرسلة إليها. هذا علاوة على أن الردود التى وصلت تكشف عن وضع مأساوى مثال:

تونس: تضمنت إجابة تونس أنها أصدرت من ١٩٦٦ إلى ١٩٨١، أى على مدى ١٤ سنة ٣٧ كتاباً فقط من بينها ٨ قصص أطفال. وبعض المترجمات مترجمة من العربية إلى لغات أجنبية هى ترجمات لخطب الرئيس بورقيبة خلال هذه السنوات.

الجزائر: أفادت أنها ترجمت خلال الفترة من ١٩٧٠ إلى ١٩٨٠ من وإلى العربية ٢٤ كتاباً فقط.

السودان: ترجم ١٨ كتاباً من ١٩٦٠ إلى ١٩٧٠ ولم يترجم أى كتاب من ١٩٧٠ إلى ١٩٨٠.

سوريا: نشطت حركة الترجمة بعد إنشاء وزارة الثقافة والإرشاد القومى مع قيام الجمهورية العربية المتحدة. والجانب الأكبر من الكتب المترجمة مخصص لتلبية حاجات الجامعة وبضع كتب ثقافية. والغالبية كتب مترجمة من العربية تتضمن الخطب الرسمية وموضوعات حزبية.

ليبيا: أفادت بأنه أنشئ معهد الانماء العربى بطرابلس سنة ١٩٧٥

من أجل تنمية البحوث وترجمتها. أصدر حوالى ١٥ كتاباً معظمها كتب مدرسية وبعضها من العربية مثل "الكتاب الأخضر" الذى ترجم إلى عدة لغات.

السعودية: أفادت أن وزارة التعليم لديها شكلت لجنة لاختيار وترجمة المصطلحات العلمية يشارك فيها أعضاء من مكتب التربية العربى لدول الخليج وحتى الآن - ١٩٨٠ - لم يصدر كتاب واحد.

الأردن: أفاد فى تقريره بعنوان "واقع الترجمة فى المملكة الأردنية الهاشمية" وكتبه د. عيسى الناعورى فقال "...... تزدهر حركة الترجمة حيث توجد المؤسسات الداعية إلى تشجيعها... وهذا ما لم يتوفر فى الأردن، ولا يبدو أنه سيوفر فى القريب..." ثم يضيف:

"والحقيقة أن عدد المترجمين فى الأردن قليل جداً، ومن المؤسف أن الكثيرين منهم، حتى بين أساتذة الجامعة... يترجمون بلغة عربية ضعيفة، وبعض المترجمين لا يتقنون اللغة التى يترجمون عنها. ولذلك يزداد الشك فى قيمة ما يترجم إلى العربية. وهذه مصيبة لا فى الأردن وحده بل فى العالم العربى برمته".

ونعود إلى جهود المنظمة العربية للتربية:

٥ - أصدرت المنظمة "دليل المترجمين" ولكنه قاصر لأن الإجابات جاءت على لسان موظفين حكوميين لا علاقة لهم بالعمل الثقافى، أو أساتذة جامعات لا يعملون بالترجمة وإن أجادوا اللغة.

وفى عام ١٩٩٤ أصدر وزراء الثقافة العرب توصية إثر الدورة التاسعة لمؤتمرهم المنعقد فى بيروت ١٩٩٤ والتى نصت على:

"دعوة المنظمة إلى تحديث الخطة القومية للترجمة التى أقرها المجلس التنفيذى فى دورته الثلاثين، وكذلك أقرها المؤتمر العام فى دورته الرابعة التى عقدت فى الجزائر عام ١٩٨٣ على أن تقدم للمؤتمر العام فى دورته القادمة".

ولكن المنظمة تشكو حتى الآن من تعثر إجابات الدول العربية وضياعها بين دهاليز مكاتب الموظفين.

وتحاول المنظمة الآن وضع ببليوجرافيا عامة تتضمن جميع الأعمال المترجمة فى العالم العربى وأسماء المترجمين ومؤسسات الترجمة والنشر. وأسهمت المنظمة أيضاً فى صياغة لائحة قانونية لرابطة المترجمين العرب إذا ما حدث وأقيمت هذه الرابطة. وتحمل مسودات اللائحة العنوان التالى:

"مشروع قانون نموذجى بشأن تنظيم مهنة الترجمة"

من إعداد الدكتور محمد حسام لطفى أستاذ القانون المدنى. ويتمثل المشروع فى خمسة أبواب تتعلق بالموضوعات الآتية:

- فى إنشاء النقابة وأحكام العضوية - النظام المالى للنقابة، إدارة النقابة، التزامات المترجمين وتأديبهم وصندوق المعاشات والإعانات.

ووضعت مسودة "دستور اتحاد المترجمين العرب". ويتناول النظام الداخلى والأهداف وأجهزة الاتحاد والأمور المالية والإدارة.

٦ - مكتب "تنسيق التعريب" الذى أنشئ عام ١٩٦٠ تحت اسم "معهد الأبحاث والدراسات للتعريب" فى الرباط - المغرب ثم أصبح من

عام ١٩٧٠ جهازاً من أجهزة المنظمة العربية ويعنى أساساً بتوحيد المصطلح العربى، وانتج حوالى ٥٠ معجماً فى التخصصات المختلفة ويتبع منهج خاص فى دراسة المصطلح والاتفاق عليه واعتماده، ولكنه مع هذا منعزل عن النشاط العلمى الاجتماعى.

الترجمة والجهات المنوط بها الترجمة في العالم العربي

دولة الإمارات العربية المتحدة

عنيت منذ نشأتها بترجمة بعض الوثائق الرسمية للمحاكم والمستندات وبعض مقتطفات الصحف والمجلات ذات الصلة. وأنشأت مركز الدراسات التاريخية ويعنى بتجميع وترجمة عدد من الوثائق التاريخية البريطانية عن تاريخ الإمارات.

بدأت منذ ١٩٩١ محاولة لإنشاء دار أو قسم للنشر يتبع المجمع الثقافي وصدرت بعض العناوين لكتب علمية في الإنسانيات.

وبدأ في ١٩٩٤ نشاط لمركز أنشئ حديثاً هو "مركز الدراسات والبحوث الاستراتيجية" والمركز معنى بالترجمة التوثيقية للبحوث والدراسات الاستراتيجية التي تسهم في صناعة القرار وتتناول الخليج والعالم العربي. ويقع المجمع الثقافي ومركز الدراسات والبحوث الاستراتيجية في إمارة أبو ظبي.

البحرين

الترجمة أساساً من العربية إلى الإنجليزية للخطب والموضوعات الرسمية. ولا توجد كتب علمية مترجمة في العلوم الأساسية أو التطبيقية وإنما هناك محاولات وجهود فردية لترجمات أدبية.

المملكة السعودية

* ترجمة وثائق المصالح الحكومية إلى الإنجليزية.

* حظر نشر كل ما يخالف العقيدة والخطاب الدينى الرسمى.

* الترجمة إلى الإنجليزية شريطة الاتساق مع الخطاب الدينى الرسمى للسلطة مثل:

كتاب الحلال والحرام للدكتور يوسف القرضاوى

قصص الأنبياء لأبى الحسن الندوى

وغيرها من الكتب التى يجرى إرسالها إلى المسلمين فى أمريكا.

* الترجمة إلى العربية محدودة جداً وهى التى تدعم خطاب الدولة الدينى والسياسى أو بعيدة تماماً عن شئون العقيدة وهو نشاط بدأ مؤخراً مثل

- ما أصل الإنسان؟ إجابات العلم والكتب المقدسة.

تأليف موريس بوكال - ترجمة كمال الهلباوى.

- شمس العرب تسطع على المغرب مترجم عن الألمانية

وأشارت المؤلفة إلى أنها ألفته اعترافاً بالوفاء للنظام السعودى.

- المنهج النموذجى فى علم الحاسبات الآلية.

- ندوة الرياضيات المعاصرة.

- دراسات فى التنصير.

ـ كيف تستخدم الملح فى صيد الطيور ترجمة عزيز ضياء.

وتخضع الكتب المترجمة لعملية مراجعة فنية ودينية وسياسية متشددة في شروطها التى منها:

أ ـ تنمية المكتبة العربية والإسلامية وبناء الإنسان على الأسس والقيم العربية الإسلامية الصحيحة من وجهة نظر النظام.

ب ـ الكشف عن مكنون التراث العربى الإسلامى المتسق مع خطاب النظام.

لم يرد اسم المملكة العربية السعودية في إحصاءات اليونسكو- الكتاب السنوى قبل ١٩٨٤.

والكتاب السنوى الصادر عام ١٩٩٢ يشير إلى:

السنة	إجمالي الإصدار
١٩٨٤	لا شىء
١٩٨٥	٢٠
١٩٨٦	١٣

وتشير آراء شفاهية لبعض الأكاديميين المعنيين بشئون الترجمة داخل الجامعات السعودية إلى أن المملكة العربية السعودية شهدت خلال العقد الأخير قفزة فى مجال الترجمة. إذ جاوزت الترجمة لكتب أكاديمية وغيرها الثلاثين كتاباً فى السنة. هذا علاوة على العناية باستحداث وتطوير وسائل الترجمة الآلية. ولكن الملاحظ أيضاً أن المترجمين إلى العربية هم من غير السعوديين.

دولة الكويت

١ ـ المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب

وتصدر عنه

(أ) سلسلة كتاب عالم المعرفة شهرياً ويتضمن أعمالاً مترجمة علمية.

(ب) مجلة عالم الفكر ـ فصلية تشتمل على مقالات ودراسات مؤلفة ومترجمة.

(جـ) سلسلة كتاب "المسرح العالمى" كانت تصدر عن وزارة الإعلام وهى الآن تتبع المجلس .

(د) مجلة الثقافة العالمية وتنشر مقالات علمية مترجمة.

٢ ـ مؤسسة الكويت للتقدم العلمى

يرأسها أمير البلاد وتساهم فيها غرفة التجارة والصناعة. أنشئت ١٩٧٦ تضم ست إدارات إحداها إدارة الترجمة والتأليف والنشر ومهمتها دعم المكتبة العربية بالمراجع والدراسات والمعاجم والمخطوطات والمجلات يصدر عنها:

(أ) كاتب وكتاب

(ب) قواميس علمية متخصصة

(جـ) مجلة التقدم العلمى

(د) مجلة العلوم (مترجمة عن Scientific American)

(هـ) تمنح جائزة سنوية لأفضل كتاب مترجم على المستوى العربى

(و) أمهات الكتب.

٢ ـ لجنة التأليف والتعريب والنشر ـ جامعة الكويت إصداراتها محدودة جداً وفى حدود احتياجات الجامعة العلمية.

هذا عدا بضع دور نشر قطاع خاص تصدر ترجمات

ويشير الكتاب السنوى لليونسكو إحصاءات الترجمة إلى:

السنة	إجمالى الإصدارات
١٩٨٤	١٧
١٩٨٥	١٧
١٩٨٦	٢١

٤ ـ المركز العربى للوثائق والمطبوعات الصحية "أكمل".

وهو منظمة عربية تتبع مجلس وزراء الصحة العرب أنشئت عام ١٩٨٢ ومقرها دولة الكويت. والترجمة فى مجال الطب.

٥ ـ معهد الكويت للأبحاث العلمية

ترجمة دراسات وتقارير المعهد

٦ ـ المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية

ترجمة من العربية للتعريب بجهود العلماء المسلمين فى الطب.

٧ ـ اللجنة الوطنية الكويتية للتربية والعلوم والثقافة (وزارة التربية)

لترجمة بعض إصدارات اليونسكو الحديثة.

لبنان

يوجد أكثر من ١٧٠ دار نشر وتوزيع مسجلة

الترجمة والنشر نشاط للقطاع الخاص والدولة لا علاقة لها بذلك.

الترجمة العلمية فى الصحف اليومية والمجلات الشهرية

والسيادة لكتب الأدب والسياسة والإنسانيات

القطاع الخاص يعمد إلى ترجمة المستحدث الذى يغطى تيارات الفكر الحديث وكل دار حسب توجهها الفكرى والأيديولوچى.

مجموع الدراسات المترجمة فى لبنان من ١٩٧٠ إلى ١٩٨٥

٣٩٦ عنواناً جميعها علوم إنسانية وأدبية

٦ عناوين فى العلوم والطب والتداوى بالأعشاب

بدأ بعد ذلك الاهتمام بترجمة كتب تعليم وتبسيط الحواسب وسبق أن ذكرنا أن لبنان بدأ نشاط الترجمة منذ أن كان "متصرفية جبل لبنان" فى ظل الهيمنة العثمانية وبدأ هذا النشاط على أيدى البعثات التبشيرية.

مصر

بدأت الترجمة فى عصر محمد على بريادة الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى منذ ١٨٣١ وقتما عرض رفاعة فكرة إنشاء مدرسة الألسن لتدريس اللغات الفرنسية والتركية والفارسية والإيطالية. وترجم رفاعة وتلامذته أكثر من ٢٠٠٠ كتاب، وترجم وحده وهو فى باريس ١٢ كتاباً. وانصرفت الجهود آنذاك إلى ترجمة كتب العلوم والصناعات (التكنولوچيا) المختلفة دون الأدب والفلسفة والفنون إلا بقدر ضئيل. ومع نشاط حركة الترجمة نشطت حركة المعاجم والموسوعات التى تشكل ركيزة لأى نهضة فكرية ولغوية. نذكر الآتى:

أ - المعجم العربى الإنجليزى English. Arabic Lexicon

تأليف وليم لين Lane بالاشراك مع الشيخ إبراهيم عبد الغفار الدسوقى ١٨٦٣.

وخبا نشاط الترجمة ليعود إلى الازدهار مع بدايات النهضة المصرية فى مطلع القرن العشرين. ونشأت مؤسسات وهيئات عنيت بنشاط الترجمة والتأليف منها:

- دار المعارف للطباعة والنشر - أنشأها نجيب مترى ١٨٩١ وقدمت مؤلفات ومترجمات أسهمت فى حركة التنوير.

- لجنة التأليف والترجمة والنشر ورأسها أحمد أمين عام ١٩١٤.

- لجنة دائرة المعارف الإسلامية. بدأت عام ١٩٣٣ وترجمت الموسوعة التى أصدرها أئمة المستشرقين فى العالم باللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية تحت رعاية الاتحاد الدولى للمجامع العلمية. وقام بالترجمة عدد من شباب الخريجين هم [محمد ثابت الفندى - أحمد الشنتناوى - عبد الحميد يونس - إبراهيم زكى خورشيد].

- لجنة النشر للجامعيين عام ١٩٤٣.

- لجنة البيان العربى عام ١٩٤٦.

- دار الهلال أنشأها چورچى زيدان وهو من لبنان.

- ظهرت مجلات تخصصت فى نشر ترجمات من روائع الفكر العالمى وأحدث النظريات العلمية مثل مجلات - المقتطف التى رأس تحريرها المفكر اللبنانى فؤاد صروف - مجلتى - الزهور... إلخ.

- مجلات اليونسكو "ديوچين - المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية - مجلة اليونسكو" - ومستقبليات. وجميعها تصدر عن منظمة اليونسكو وتتم ترجمتها إلى العربية بشكل دورى.

- "الإدارة الثقافية" أنشأتها وزارة التربية والتعليم وأشرف عليها طه حسين. وأهم ما صدر عنها مشروع الألف كتاب الأول الذى بدأ عام

١٩٥٥ وانتهى عام ١٩٦٨ وضم المشروع حوالى ٧٠٠ عنوان من بينها ٧٨ عنواناً مترجماً فى العلوم البحتة. وميزة هذا المشروع:

(أ) التخطيط المسبق.

(ب) استهدف مسايرة ركب العلم والحضارة. والمشاركة الإيجابية فى تطوير العلم ومساهمة مصر فى عصر الذرة.

(جـ) وصولاً إلى هذا الغرض عنى المشروع بنقل أمهات الكتب من مصادرها الأصيلة.

- المجلس الأعلى للثقافة - لجنة الترجمة

وعنى المجلس بإصدار عدد من الترجمات والمعاجم الهامة ثم تعثر نشاطه. وتجدد شبابه مرة أخرى وأعد مشروعاً قومياً للترجمة صدرت منه خلال الأعوام الثلاث الأخيرة أكثرمن مائة وعشرين كتاباً. ويدعم المشروع صندوق التنمية الثقافية التابع لوزارة الثقافة.

- المجلس القومى للثقافة والفنون والإعلام

يفكر فى إنشاء ديوان للترجمة يضم صفوة من المفكرين والعلماء للتخطيط والإشراف.

الألف كتاب الثانى ويصدر فى العام حوالى عشر عناوين.

- هناك عدد من مراكز النشر التابعة لهيئات دبلوماسية أجنبية وتتميز بالنشاط مثل

(أ) مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر

أصدرت الكثير من الكتب الأمريكية المترجمة إلى العربية وأصدرت الموسوعة العربية الميسرة بمعونة مالية من مؤسسة فورد.

(ب) مركز الكتاب الأمريكى. وتتعاون معه دور نشر عديدة لترجمة كتب أمريكية مع دعم من المركز يتمثل فى شراء عدد من النسخ.

(جـ) البعثة الفرنسية ونشاطها مماثل لمركز الكتاب الأمريكى.

(د) كان فى السابق ترجمات للمركز الثقافى السوفيتى.

- صندوق التنمية الثقافية (وزارة الثقافة)

يدعم نشاط النشر تأليف وترجمة داخل مصر بتقديم دعم مالى.

- المركز القومى لثقافة الطفل

يتبع المجلس الأعلى للثقافة وله ترجمات محدودة جداً لقصص الأطفال العالمية.

- الهيئة المصرية العامة للكتاب

الترجمة بها جهود واختيارات فردية. تصدر مشروع الألف كتاب الثانى بناء على اقتراحات المترجمين وليس خطة قومية كالسابق.

- هناك العديد من دور النشر الخاصة التى تصدر من بين منشوراتها أعمالاً مترجمة مثل

(أ) مركز الأهرام للترجمة والنشر

* ترجمة وثائق الأمم المتحدة ومنظماتها. وقد توقف عن ذلك أخيراً.

* إصدار كتب مؤلفة ومترجمة أكثرها لحساب مركز الكتاب الأمريكي مثل روايات عبير.

(ب) المكتبة الأكاديمية.

(جـ) دار الشروق.

يشير الكتاب السنوى لمنظمة اليونسكو إحصاءات الترجمة إلى

السنة	إجمالى الإصدارات
١٩٨٤	٧٤
١٩٨٥	٩٨
١٩٨٦	١٠٤

سوريا

يوجد بها علاوة على دور النشر الخاصة

١ ـ "المركز العربى للتعريب والترجمة والتأليف والنشر"

يتبع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

ـ وهو منظمة تربوية علمية ويصدر كتباً مؤلفة ومترجمة شديدة التخصص. ونشاطه محدود بـ ١٥٠ ملزمة سنوياً .

ـ يعاني من ضعف الميزانية وعدم التوزيع ونشاطه شبه راكد.

٢ ـ "مركز الدراسات والبحوث العلمية"

ويتبع المعهد العالى للعلوم التطبيقية والتكنولوچيا

والمعهد معنى بالترجمة البشرية والآلية. وتصدر عنه "سلسلة الثقافة المميزة"

٣ ـ الجمعية العلمية السورية للمعلوماتية

وهى معنية بنظام إدخال المعجم الصرفى وقواعد نحو اللغة.

٤ ـ وزارة الثقافة السورية ـ مديرية التأليف والترجمة.

وتصدر عنها مجموعات ثقافية متميزة فى العلوم والفنون والآداب.

٥ ـ معهد التراث العلمى العربى ـ حلب

المعهد معنى بإصدار المصطلحات العلمية من بطون المخطوطات العربية. ويعنى بالمقابلة بين المخطوط العربى وترجماته السابقة.

ويصدر مجلة تتضمن نصوصاً مع ترجماتها .

ويشير الكتاب السنوى لمنظمة اليونسكو ـ إحصاء الترجمة إلى أن جملة إصدارات الترجمة كالآتى

السنة	العدد الإجمالى
١٩٨٤	٤٣
١٩٨٥	٤١
١٩٨٦	٥٩

مجمع اللغة العربية فى دمشق وهو أحد ثمرات الاستقلال عن تركيا وقد أنشئ برئاسة محمد كرد على فى ١٩١٩/٦/٨ وبه "الشعبة الأولى للترجمة والتأليف" التى أنشأتها الحكومة السورية.

تونس

يوجد بها علاوة على دور القطاع الخاص للنشر

- "الجمعية المعجمية العربية" وهى متخصصة فى شئون المعجم العربى على المستويين التنظيرى والتطبيقى.

أنشئت عام ١٩٨٣. وينحصر نشاطها فى إصدار مجلة "المعجمية

وكذا تنظيم الندوات الدولية" عن المعاجم.

- "المنظمة العربية للثقافة والتربية والعلوم"

وتتبع جامعة الدول العربية وتحدثنا عنها فى مجال سابق.

- بيت الحكمة أو المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات. وهى مؤسسة ثقافية تتبع وزارة الشئون الثقافية - تأسست عام ١٩٨٢.

ويشير الكتاب السنوى لمنظمة اليونسكو - إحصاء الترجمة إلى أن إجمالى إصدارات الترجمة كالآتى

السنة	عدد
١٩٨٤	١٢
١٩٨٥	٩
١٩٨٦	-

المغرب

هناك علاوة على دور القطاع الخاص للنشر

- الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر

نشأت اقتداء بنظيرتها السابقة فى مصر. وتعنى أساساً بالتراث المغربى وترجمته دون التخلى عن البعد العربى. من أشهر الأعمال المترجمة كتاب "وصف أفريقيا" لمؤلفه الحسن الوزان.

- "مكتب تنسيق التعريب" ويتبع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

- مدرسة الملك فهد العليا للترجمة - جامعة عبد المالك السعدى - طنجة

تعنى بإعداد وتخريج مترجمين يجيدون اللغة العربية واللغة الأجنبية التى سيترجم منها مع ثقافة متخصصة.

- معهد الدراسات والأبحاث للتعريب.

جامعة محمد الخامس.

والمعهد معنى بالترجمة الآلية - وترجم القرآن إلى الفرنسية.. ويجرى ترتيبات لاستكمال إقامة قاعدة المصطلحات المحوسبة.

- مؤسسة الملك عبد العزيز للعلوم والدراسات الإسلامية والإنسانية.

هناك علاقات بين المؤسسة ومعهد العالم العربى فى باريس بشأن أعمال تخص الترجمة منها:

إنشاء قاعدة معلومات عما تمت ترجمته فى العالم العربى

وإنشاء جائزة أدبية فى مجال الترجمة.

علاقات مع الإسبان لإعادة مجد طليطلة.

ويشير الكتاب السنوى لمنظمة اليونسكو إلى أن إجمالى إصدارات الترجمة كالآتى

السنة	إجمالى الإصدارات
١٩٨٤	—
١٩٨٥	٨
١٩٨٦	٧

مقارنة بين إحصاءات واضحة الدلالة

الدراسة الإحصائية المقارنة خير مؤشر على طبيعة الاتجاه وزخم النشاط الاجتماعي قياساً إلى بلدان أخرى تشاركنا أو تنافسنا في المسيرة الحضارية. وهكذا نستطيع أن نعرف موقعنا على خريطة الصراع أو التنافس العالمي الثقافي، ونعرف مصداقية ما نفعله، ومصداقية عزمنا على التصدى لتحديات العصر، أو لنعرف جدارة حقنا في الوجود القائم على الصراع. ولن نعقد المقارنة مع رؤوس التقدم الحضاري، فهؤلاء تفصلنا عنهم مسافات شاسعة، وإنما سنكتفي بعدد من البلدان المتواضعة ولكنها تنتمي أو تسعى إلى الانتماء لحضارة العصر. وعمدنا إلى عقد مقارنة بين حال العالم العربي وحال عدونا الجاثم على أرضنا وأعني به إسرائيل. وهدفي أن نعرف كيف يفكر، وكيف رسم خطواته، وكيف صاغ استراتيجيته وكيف كان واضح الهدف واعياً بخط الوصول إلى الهدف ومراحله حتى أصبح عنصراً ضالعاً علماً نظرياً وإنجازاً عملياً في حضارة العصر، وأصبح تحدياً رادعاً كما يقولون. وسوف نكتشف في ضوء خطواته وسياساته نطاق الخطأ في حياتنا العلمية والثقافية التي أوردتنا المهالك، علاوة على مؤامراته، ليكون هو صاحب اليد الطولى والكلمة النافذة أو القاهرة بفضل ما هيأ له البحث العلمي والتنظيم الاجتماعي البشري من إمكانات رادعة.

وانطلاقاً من إيماننا بأن التفكير العلمى والبحث العلمى هما محور ارتكاز حضارة العصر، لذلك أتخذتهما أساساً لبيان طبيعة اتجاه حركة الترجمة والمقارنة بين البلدان العربية وبين إسرائيل وعدد من البلدان الأخرى. وتأكيداً لما ذهبنا إليه نشير بداية إلى أن الصهيونية واعية منذ نشأتها فى القرن التاسع عشر بحقيقة التحديات العلمية ودور سلاح العلم اجتماعياً وثقافياً وعسكرياً باعتباره أمضى سلاح فى المواجهة. لهذا شرعت الحركة الصهيونية منذ البداية فى تمهيد «أرض الميعاد» على أساس علمى وبدأت فى تطوير العلوم البحتة والتطبيقية بهمة وإدراك موضوعى للمكانة الأولى التى يحتلها العلم فى السلم وفى الحرب. وهكذا جعلت العلم، إنجازاً نظرياً وتطبيقياً، عدتها وسلاحها لبناء قوة ردع عسكرية ذاتية (عدة وعتاداً - مراكز بحث وقوة بشرية منظمة) تهىء لها قدراً من استقلال الرأى والاعتماد على النفس علاوة على ما يصلها من دعم خارجى. وبدأت الصهيونية جهودها هذه منذ مطلع القرن العشرين بينما كانت تركيا العثمانية أو الرجل المريض على فراش المرض يحتضر. ووضعت الصهيونية حجر الأساس للجامعة العبرية فى القدس عام ١٩١٨ وهى الجامعة التى تركز، شأن جامعات أخرى نشأت بعد ذلك، على العلوم الطبية والبيولوچية والزراعية والعلوم الأساسية (علوم الوراثة والهندسة البيولوچية والمعلوماتية وعلم الكومبيوتر والألكترونيات وهى العلوم التى تشكل طليعة التكنولوچيا الحديثة) [أنطوان زحلان - المستقبل العربى - ع ٨٦ أبريل/ نيسان ١٩٨٦]. وبدأت إسرائيل أول برنامج للأبحاث النووية لها عام ١٩٤٨ أى

عام النشأة. وافتتحت جامعة إسرائيل قسماً لهندسة الطيران عام ١٩٥٤ واشتركت إسرائيل فى معرض هانوفر الجوى عام ١٩٦٨ حيث عرضت طائرة ذات محركين توربينين تصلح لنقل المسافرين والبضائع. وبدأ انتاج هذه الطائرة بالجملة قبل نهاية ١٩٦٩ [أنطوان زحلان - العلم والتعليم العالى فى إسرائيل - دار الهلال ومؤسسة الدراسات الفلسطينية - ترجمة محمد صالح العالم - ١٩٧٠].

وفى أواسط الستينات كانت إسرائيل أنشأت بنية أساسية علمية وتكنولوچية واحتلت المرتبة السادسة عشرة بين دول العالم فى حجم انتاج الأبحاث. وكان لديها آنذاك عدد من العلماء الناشرين ضعف ما لدى دول أمريكا اللاتينية مجتمعة، وضعف ما لدى أفريقيا كلها. وبلغ مجموع ما نشره العلماء التكنولوچيون الإسرائيليون ثلاثة أضعاف ما نشره جميع البحاثة فى الوطن العربى. [أنطوان زحلان - نفس المرجع] ويزيد عدد البحوث العلمية فى إسرائيل عام ١٩٦٧ - أى منذ ثلاثين عاماً، عن ما قدمه العرب آنذاك بـ ٦٦٠ بحثاً، بينما يزيد عددها عام ١٩٨٣ أى منذ خمسة عشر عاماً بـ ٢٠٤٥ بحثاً أى أنها فى ازدياد مطرد ونحن فى تراجع. هذا بينما توجد فى العالم العربى ٧١ جامعة كاملة وما بين ٣٠٠ إلى ١٠٠٠ مركز أبحاث تضم جميعها حوالى ٥٠,٠٠٠ من أساتذة وأعضاء معاهد البحوث أى علماء [أنطوان زحلان - الانتاج العلمى العربى - مجلة المستقبل العربى - ٧٧٤ يوليو/ تموز ١٩٨٥].

وتوضح الإحصاءات التالية مدى وحقيقة اهتمام كل من إسرائيل والبلدان العربية بالعلم أساساً للنهوض والصحوة الحضارية، وسوف

يبين لنا أن نكستنا الحضارية ليست أبداً بسبب الابتعاد عن أى شيء آخر سوى الابتعاد عن العلم إنجازاً ومنهجاً وإدارة لشئون الحياة والمجتمع وتفاعلاً مع العالم... ثم شيوع الأمية الثقافية والتعليمية الأبجدية ناهيك عن لغة الاتصالات الألكترونية، مما يؤكد عزلتنا الثقافية ويكشف أسباب الردة إلى الفكر الخرافى.

تشير إحصائية فى الكتاب السنوى لمنظمة اليونسكو إصدار ١٩٩٦ إلى إجمالى المنشور من الكتب عام ١٩٩٢ (تأليفاً وترجمة)

البلد	تعداد مليون نسمة	إجمالى الإصدارات	علوم بحتة	علوم تطبيقية
العالم العربى	٣٥٠	٦٧٥٩	٥٤٨	٦٠٤
إسرائيل	٤,٥	٤٦٠٨	٢٨٩	٢٣١
اليابان	١٢٣	٣٥٤٩٦	١١٤٢	٦٢٧٦
فرنسا	٥٥	٤٥٣٧٩	٢٠٣٨	٥٠٤٩
ألمانيا	-	٦٧٢٧٧	٢١٤١	٩٤١
إسبانيا	٣٩	٤١٨١٦	٢٥١٢	٥٨٧٣

يظهر هنا الفارق الشديد بين العالم العربى ٢٥٠ مليون نسمة وبين إسبانيا ٣٨ مليون نسمة وإسرائيل ٤,٥ مليون نسمة، وتكشف هذه

الإحصائية وغيرها عن أن السبب ليس فقط الأمية الأبجدية وإنما أيضاً الأمية الثقافية والعزوف عن القراءة. العالم العربى تعداده ٢٥٠ مليون نسمة ويصدر كتباً هى سدس ما تصدره إسبانيا ومقدارها ٣٩ مليون نسمة.

الصحف والدوريات اليومية لكل ألف نسمة وهذه مؤشر جيد على شعبية الثقافة والانتماء إلى العالم [نفس المصدر]

البلـد	عدد لكل ألف	البلـد	عدد لكل ألف
مصر	٦٤	اسرائيل	٢٨١
ليبيا	١٣	اسبانيا	١٠٤
المغرب	١٣	المجر	٢٢٨
الجزائر	٤٦	المانيا	٣١٧
السعودية	٥٤	فرنسا	٢٣٧
لبنان	١٧٢		
العراق	٢٧		

احصاء مقارن لاصدارات الكتب
(الكتاب السنوي - منظمة اليونسكو ١٩٩٥)

البلـد	١٩٧٠	١٩٨٠	١٩٩٠	١٩٩١
العالم	٥٢١٠٠٠	٧١٥٥٠٠	٨٤٢٠٠٠	٨٦٣٠٠٠
أفريقيا	٨٠٠٠	١٢٠٠٠	١٣٠٠٠	١٣٠٠٠
آسيا	٧٥٠٠٠	١٣٨٠٠٠	٢٢٨٠٠٠	٢١٥٠٠٠
أوروبا	٢٤٦٠٠٠	٣٣٠٠٠٠	٣٦٤٠٠٠	٤٠٣٠٠٠
البدان المتقدمة	٤٥١٠٠٠	٥٦٢٥٠٠	٦٠٠٠٠٠	٦٣٥٠٠٠
البدان النامية	٧٠٠٠٠	١٥٣٠٠٠	٢٤٢٠٠٠	٢٢٨٠٠٠
البلدان العربية	٤٧٠٠	٦٥٠٠	٦٤٠٠	٦٥٠٠
أفريقيا (بدون العرب)	٧٣٧٠٠	١٣٤٥٠٠	٢٢٤٥٠٠	٢١٥٠٠٠
أمريكا الشمالية	٨٣٠٠٠	٩٩٠٠٠	١٠٦٠٠٠	١٠٢٠٠٠

اصدارات الكتب (تأليف وترجمة) لكل مليون

البلـد	١٩٧٠	١٩٨٠	١٩٩٠	١٩٩١
العالم	١٨٢	١٦١	١٥٩	١٦٠
أفريقيا	٢٢	٢٥	٢٠	٢٠
آسيا	٥٩	٥٤	٧٣	٧٠
أوروبا	٥١٥	٦٨٢	٧٢٦	٨٠٢
البدان المتقدمة	٤٢٨	٤٩٠	٤٨٨	٥١٣
البدان النامية	٣٩	٤٦	٦٠	٥٥
البلدان العربية	٣٨	٤٠	٢٩	٢٩
أفريقيا (بدون العرب)	١٧	٢٥	٢٠	٢٠
أمريكا الشمالية	٣٦٦	٣٩٣	٣٨٥	٣٦٥

النسبة المئوية من توزيع انتاج الكتب
مقرونة بالنسبة المئوية على السكان إلى إجمالى العالم

البلد	١٩٧٠		١٩٨٠		١٩٩٠		١٩٩١	
	كتب	سكان	كتب	سكان	كتب	سكان	كتب	سكان
أفريقيا	١,٥	١٢,٤	١,٧	١٠,٩	١,٥	١٢,١	١,٥	١٢,٣
آسيا	١٤,٤	٤٣,٢	١٩,٣	٥٧,٨	٢٧,١	٥٨,٨	٢٤,٩	٥٨,٩
الدول النامية	١٣,٤	٦١,٥	٢١,٤	٧٤,١	٢٨,٧	٧٦,٩	٢٦,٤	٧٧,٠
أوروبا	٧,٢	١٦,١	٤٦,٢	١٠,٩	٤٣,٢	٩,٥	٤٦,٧	٩,٣
البلدان العربية	٠,٩	٤,٤	٠,٩	٣,٧	٠,٨	٤,٢	٠,٨	٤,٢

وتوضح لنا الإحصاءات السابقة معنى بلدان المركز وبلدان الأطراف فى التوزيع الثقافى والهيمنة الثقافية وكذا الانتاج وهو ما سوف نعرض له فى الفصل الخاص "العولة وتعريب الترجمة"، ويبين بوضوح مدى الهامشية للبلدان العربية ومن ثم الواجب الملقى عليهم لصحوة أو نهضة شاملة.

وجدير بالإشارة هنا أن أغلب انتاج الكتب فى بعض البلدان فى الدين ثم السياسة والأدب والتاريخ والنقد.... مثال

إجمالى الانتاج فى السعودية عام ١٩٨٠ كلها تأليف.

٢٠٧ عنواناً منها ٦٧ دين ٥٥ أدب

إجمالى الانتاج فى العراق ١٩٧٩

٩٤٨ عنواناً منها ٨٦ دين ١٩٤ تاريخ أدب ونقد

٦٩ سياسة

[المستقبل العربى - الملف الإحصائى ٦٨٤ أكتوبر/ تشرين ١٩٨٤]

إن العالم العربى لا يزال يعيش عصر الشفاهة وهو عصر قبل الكتابة ناهيك عن عصر العلم وهذا ما ينعكس بوضوح فى الترجمة كنشاط اجتماعى.

هذا بينما بلغت قيمة صادرات إسرائيل من الكتب والمطبوعات عام ١٩٦٥ ما قيمته ٤ مليون دولار. وبلغ حجم التصدير الإسرائيلى من الطباعة والنشر عام ١٩٧٠ ما قيمته عشرة ملايين دولار. ويوضح هذا القيمة الاقتصادية للصادرات العلمية فى صورة انتاج معرفى (أنطوان زحلان - العلم والتعليم العالى فى إسرائيل - ترجمة محمد صالح العالم - دار الهلال ١٩٧٠).

وفى تقرير آخر يوضح أن إسرائيل من الدول الأولى فى حجم النشر والترجمة فى العالم (من العشرة الأوائل) باعت فى عام ١٩٩٧ ما قيمته ١٣ مليون كتاب بمتوسط ٣ كتب فى العام للشخص الواحد، وتشير إحصائية رسمية إسرائيلية صدرت فى يناير ١٩٩٨ إلى أن ٥٠٪ يقرأون كتاباً واحداً كل شهر و ٢٠٪ يقرأون كتاباً واحداً كل عام و ٣٠٪ لا يقرأون الكتب.

إجمالي الترجمة فى العالم العربى (٢٥٠ مليون نسمة)
(احصاء اليونسكو ١٩٩٢)

السنه	إجمالى	علوم بحته	
١٩٨١	٢٢٥	١٥	حوالى كتاب واحد لكل
١٩٨٢	٧٢ لم ترد مصر والعراق	—	مليون نسمة .
١٩٨٣	٧٠ لم ترد مصر والعراق	١	
١٩٨٤	٤٥٩	٢٦	
١٩٨٥	٢٧٢ لم ترد العراق	٢٣	
١٩٨٦	٢٦٨ لم ترد العراق		

إجمالي الترجمة في عدد من الدول للمقارنة [نفس المصدر]
اسرائيل تعداد ٤,٥ مليون

السنه	إجمالى	علوم بحته	
١٩٨١	٣٨٧	٧	ما بين ٩٣ و ٧٦ كتاب لكل
١٩٨٢	٣٤٨	١٠	مليون نسمة
١٩٨٣	٢٣٢	٣	مع ملاحظة شيوع اللغة
١٩٨٤	٣٦٦	٤	الانجليزية وأن ٥٠٪ من
١٩٨٥	٣١٣	١	سكان اسرائيل مهاجرون
١٩٨٦	٤٦٢		يقرأون بلغاتهم الأصلية

المجر تعداد ١٠,٥٧١,٠٠٠ نسمة

السنه	إجمالى	علوم بحته	
١٩٨١	٤١٩	٤٥	حوالى ١٠٨ كتاب لكل مليون .
١٩٨٢	١٢٢٧	٩٢	
١٩٨٣	١٣٩٧	١٦٢	
١٩٨٤	١٢٣٨	١٢٨	
١٩٨٥	١٢٠٢	١١٠	
١٩٨٦	١١٤	١٤١	

إسبانيا تعداد ٣٩ مليون نسمة

السنه	إجمالى	علوم بحته	
١٩٨١	٦٣٦١	٢٥٤	حوالى ٢٤٠ عنوانا لكل مليون .
١٩٨٢	٧٣٨١	٣٣١	
١٩٨٣	٧٤٤٧	٢٧٣	
١٩٨٤	٧٧٤١	٢٥٩	
١٩٨٥	٧٩٤٤	٣٢٥	
١٩٨٦	٩٦٤٧	٤٢٨	

تكشف هذه الإحصاءات حالة التدنى الشديدة والتخلف المروع فى مجال الترجمة أى فى مجال الاطلاع على علوم العصر والتفاعل معها. وكيف نتفاعل ونحن لا ننتج كما تكشف إحصاءات انتاج الكتب؟ وكيف نسعى إلى المعرفة ونحن لا نقرأ. وهذا ما جعلنا نقول أننا لا نزال مجتمعات شفاهية ولذا فإن الأزمة أزمة مجتمع والمشكلة هى قارئ وكتاب بالنسبة للتأليف والترجمة على السواء. وهذا يعنى شيوع الأمية العلمية والثقافية العالمية فى بلدان العالم العربى، وهو ما يفسر حالة الخواء الفكرى والعلمى العقلانى وشيوع الفكر الخرافى مما يضعف عزيمة الأمة. ويضعف الأمل فى مواجهة التحديات أو حتى يحفزنا إلى قبول التحدى وقد أدركنا أبعاده وذلك بمضاعفة الجهد.

إن النظر إلى إحصاءات إجمالى الترجمة تبين أن العالم العربى يقارب فى انتاجه ١/١٠ انتاج البرازيل [٢٦٨ عنواناً مقابل ٢٢٩١ عنواناً] وهى دولة نامية وتعدادها يقارب نصف تعداد السكان العرب. ويبلغ انتاج البلدان العربية مجتمعة من الترجمة نصف انتاج إسرائيل [٤,٥ مليون نسمة] أى ١/٥٠ من تعداد السكان العرب. هذا علاوة على الحاجة إلى تحليل مضمون هذا الانتاج لما له من دلالة هامة وحاسمة. ونلحظ، كما أشرنا، من حيث نصيب كل مليون نسمة من انتاج الكتب المترجمة أن:

كتاب واحد تقريباً [أو ١,٢] لكل مليون نسمة فى العالم العربى.

١٠٠ كتاب تقريباً لكل مليون نسمة فى إسرائيل.

٢٥٠ كتاب تقريباً لكل مليون نسمة فى إسبانيا.

وحتى نعرف أن هذا موقف ليس بالجديد، وعلينا أن نبحث عن أسباب العزوف عن الاطلاع فى تكويننا الثقافى الاجتماعى. أشير إلى إحصائية تقريبية وردت فى كتاب "الخطة القومية للترجمة" الصادر عن المنظمة العربية للتربية والعلوم. إذ يقول ما يلى:

١) إحصاء الكتب المترجمة من ١٩٧٠ إلى ١٩٧٥ فى خمس دول عربية - هى بالطبع الدول المنتجة للكتب - بلغ ٨٧٢ كتاب بمعدل ١٧٥ عنواناً مترجماً فى السنة.

٢) إحصاء الكتب المترجمة بداية من ١٩٧٠ لغاية ١٩٨٠ فى ١٦ دولة عربية بلغ ٢٨٤٠ عنواناً أى بمعدل ٢٨٤ عنواناً مترجماً فى السنة. وهذا إحصاء مقارب لإحصاء منظمة اليونسكو.

٣) يشير الكتاب إلى أن إجمالى الكتب المترجمة فى العالم العربى منذ الخليفة المأمون وحتى يومنا هذا يصل إلى ١٠,٠٠٠ عشرة آلاف عنوان، أى ما يساوى ما ترجمته إسرائيل فى أقل من ٢٥ سنة من وجودها، أو ما ترجمته البرازيل فى أربع سنوات، أو ما ترجمته إسبانيا فى سنة واحدة تقريباً. وليس هذا التقدير مبالغ فيه بالسلب خاصة إذا نظرنا إليه فى ضوء الإحصاءات المشار إليها. ونحن نعرف أن العالم العربى عاش فى ظلام الهيمنة التركية والملوكية قروناً طويلة ولم يبدأ فى الخروج من هذا الظلام، وإن خرج غافياً، إلا فى مطلع القرن التاسع عشر. بيد أنه لا يزال غير مدرك لحقيقة التحدى وأسباب النهوض الحضارى ليعقد العزم على الإفلات من نكسته والتفاعل مع العالم المتقدم ثقافياً التزاماً باستراتيجية تنموية وإطار فكرى يعبران عنه.

وإلى من راعته هذه الإحصاءات أو تشكك فيها نسوق إحصاء آخر يصدق عليها إذ يعتبر مؤشراً محايداً ومحكوم المصدر. وأعنى بهذا إحصاء استهلاك ورق الطباعة للصحف وللمطبوعات الأخرى بعامة - ومصدر الإحصاء الكتاب السنوى لليونسكو ١٩٩٥ - وطبيعى أن استهلاك الورق يكشف بوضوح عن علاقة المجتمع بالقراءة والكتاب.

استهلاك ورق طباعة الصحف

البلد	إجمالى	لكل ألف نسمة	للفرد
مصر	٨٩,٩٠٠ مليون طن مترى	١٤٤٨ كجم	١,٤ كجم
اسرائيل	١٠٧,٩٨٨ مليون طن مترى	١٩٥٤٧ كجم	١٩,٥ كجم
فرنسا	٧٩٤,٠٠٠ مليون طن مترى	١٣٦٦٥ كجم	
اسبانيا	٤٩٦,٠٠٠ مليون طن مترى	١٢٥١٩ كجم	

استهلاك ورق طباعة غير الصحف

البلد	إجمالى	لكل ألف نسمة	للفرد
مصر	١٠٧,٦٠٠ مليون طن مترى	١٧٣٣ كجم	١,٧ كجم
اسرائيل	١٨٠٢٢١ مليون طن مترى	٣٢٦١٩ كجم	٣٢,٦ كجم
فرنسا	٣,٦٦٢,٠٠٠ مليون طن مترى	٦٣٠٢٥ كجم	٦٣,٠٠ كجم
اسبانيا	١,٤٠٢,٥٠٠ مليون طن مترى	٣٥٣٩٣ كجم	٣٥,٠٠ كجم

العولمة وتعريب الترجمة

أولاً نقصد بتعريب الترجمة أن تأتى الترجمة كنشاط اجتماعى مؤسَّسى انطلاقاً من أهداف عربية، وتأسيساً على اختيارات عقول عربية، فى ضوء استراتيچية تنموية شاملة بحيث تكون بحق تعبيراً عن الهم العربى واستجابة لقضايانا الاجتماعية، وإشباعاً لقدرة المجتمع على النهوض.

ونقصد بالعولمة ذلك النزوع الثقافى الذى يبدو فى ظاهره جديداً ويسميه البعض النظام العالمى الجديد أو يقال إن العالم بات قرية واحدة تهاوت معها الحدود القومية ليسود مركز عالمى علمى وتقنى واقتصادى وثقافى. وتروج لهذا المفهوم الولايات المتحدة الأمريكية والشركات متعددة القوميات... وهذا هو الجديد. ونجد قرين ذلك نزوعاً آخر يدعو إلى حوار البحر المتوسط أو حوار الشمال والجنوب بين أوروبا وبلدان حوض البحر المتوسط (وهى عربية) وبلدان أفريقيا. ويأتى هذا تعبيراً عن صراع خفى بين العولمة بمفهومها الأمريكى وبين سعى أوروبا بعامة، وفرنسا أو الرابطة الفرانكفونية لخلق مجال قوة مناهض. ونذكر بهذه المناسبة ندوة الترجمة المنعقدة فى تاليدو أو طليطلة فى إسبانيا عام ١٩٩٥ بعنوان "تبادل الأفكار فى حوض المتوسط: دورة الترجمة". وساهمت فيها البلدان العربية المطلة على البحر المتوسط.

ويأتي ثالثاً تحت عباءة شعار العولمة نزوع باسم الشرق أوسطية الذى يهدف إلى فتح الحدود الاقتصادية والثقافية... إلخ بين جميع بلدان الشرق الأوسط وأولها إسرائيل. وغنى عن البيان طبيعة العلاقة بين إسرائيل والولايات المتحدة وانسجام الأدوار بينهما عسكرياً واقتصادياً وثقافياً بل وبحثاً علمياً. ونذكر هنا ما قاله شيمون بيريز من أنه لم يعد المال هو القوة المحركة وأداة الهيمنة بل الفكر، وأن العالم العربى يملك المال ونحن - أى إسرائيل - تملك الفكر والعلم وتكنولوچيا الانتاج. وهو قول صريح يفسر أشياء كثيرة على مستوى الشرق أوسطية أو "العولمة" الإقليمية حيث تبدو إسرائيل فى صورة مقاول الباطن لصالح العولمة الأوسع.

وجدير بالذكر أن من مظاهر العولمة النزوع إلى عولمة الثقافة أو نظام هندسة التحكم الاجتماعى العالمى فى سلوك المجتمعات وشيوع قيم لصالح القوة المهيمنة. ونحن نمايز بداية بين العولمة والعالمية فى مجال الفكر العلمى والمنتج التقنى العالمى القدرات وتجسده كمثال تكنولوچيا الاتصالات والحواسب والهندسة الوراثية والتشابك الاقتصادى... إلخ ولكن العولمة كاسم فعل تعنى فرض نهج بذاته ومصالح وقيم ثقافية بذاتها... وكل ما تراه القوة ذات الهيمنة أمراً نافعاً وضرورياً لها وفاء لمصالحها... إذ أن العالمية لا تنفى التنوع والتمايز والمنافسة والتكامل، بل ولا تنفى صراع المصالح، ولكن العولمة محاولة للحفاظ على أو لتثبيت الأوضاع على نحو بذاته طبقاً لمصالح مركز محدد له الغلبة والهيمنة فى الانتاج التقنى والعلمى والثقافى.

نعم نحن نعرف ونؤمن بأن المعرفة العلمية أضحت نشاطاً انتاجياً وإبداعياً فى صورة شبكة عالمية. وأن التحكم فى هذه الشبكة منوط بأصحاب القدرة على الإسهام، كل حسب نصيبه، فى هذا النشاط الانتاجى الإبداعى... ومن الأسف أن العرب، شأن بلدان العالم الثالث، خارج هذه الشبكة. وإنما القوة المتحكمة هى القوى الصناعية الأولى فى العالم بجامعاتها ومراكز أبحاثها وانتاجها التقنى الذى تطور على مدى خمس قرون... إنها الغرب بكل تناقضاته. ويمثل الغرب المركز... إنه مركز الانتاج والتحكم والتوظيف المعلوماتى، وهو منهل المعارف والمعلومات العلمية سواء فى صورة كتب أو دوريات أو مراكز بحث وجامعات أو شبكة اتصالات عالمية ألكترونية أو وكالات أنباء... إلى كل ما يسهم فى صناعة العقول أو التلاعب بها. وحرى بنا ألا ننسى أن المعرفة سلطة وأداة هيمنة، وأن من يملك المعرفة وأدوات توزيعها والقدرة على توظيفها يملك سلطة التحكم فى العقول التابعة. وبدأت نشأة هذا المركز أساساً فى أوروبا ثم اتجه إلى الغرب البعيد حيث الولايات المتحدة الأمريكية، مما يهئ لها فرصة المزيد من التحكم على أساس منظور أيديولوچى قومى يعبر عن حلم أمريكى يزيد عمره عن المائة عام.

وثمة مسافة كبيرة تفصل بين المركز وبين بلدان المحيط أو الأطراف أو الحافة أو سمها ما شئت وإنما هى بلدان عاطلة من القدرة على التحكم أو الإسهام بنصيب فاعل فى هذا كله أو بدرجات متفاوتة... وهذه هى بلدان العالم الثالث وإن تباين دورها ومستواها وتراتبها فى

مواقعها عند الحافة. وهكذا أصبح للمركز الهيمنة فى عصر المعلومات على بلدان الحافة... المركز له الهيمنة انتاجاً وإبداعاً وتوزيعاً حيث أكبر قدر من الجامعات ومراكز الأبحاث التى يقصدها أبناء بلدان الأطراف لتلقى العلم والثقافة، وحيث مراكز الإعلام والتوزيع والمجلات والدوريات ووكالات الأنباء وبث المعلومات التى تصل مصاغة أيديولوچياً إلى أبناء بلدان الأطراف.

وهكذا يبدو العالم الثالث تابعاً... ومن بينه بلدان العالم العربى، التى تحتل مرتبة أدنى كثيراً مما هو شائع فى رطاننا الاجتماعى، بل أقول إن ثروات العرب الضخمة، بدون إدارة صحيحة وتغيير جذرى، لا يمكنها أن تنقله من موقع الحافة، نظراً لعدم أهليته، ليحتل موقعاً متقدماً ومتميزاً على الحافة ويقربه نسبياً من المركز... إننا قد نشترى منتجاً تقنياً متقدماً ومعقداً، ولكن هذا ضرب من التظاهر الاستهلاكى لا ينقلنا حضارياً... إذ العبرة بالعقل المبدع والنشاط الانتاجى والمناخ الاجتماعى للتنشئة والتعليم وإدارة المجتمع وحرية الفكر والإنسان... والعبرة بالهدف ودوره فى الحراك الاجتماعى... الثروة الحقيقية ليست فى امتلاك المال أو حيازة المنتج التقنى بل هى فى النشاط الانتاجى الإبداعى للمعلومات وتوظيفها وفى القدرة على تشغيل وصيانة وتطوير المنتج. وهذه قدرة مجتمع. ودليلى على هذا أن عدداً من بلدان الحافة الفقيرة جداً (مثل الهند) احتلت موقعاً متقدماً على الحافة لا تحتله البلدان العربية، وذلك بفضل تطوير التعليم والجامعات ومراكز الأبحاث والاتصالات، وتوفير بنية أساسية للإبداع المعرفى وتوزيع وتوظيف هذا

كله تخطيطياً... وهذا هو ما تفتقر إليه البلدان العربية على الرغم من وفرة المال... والطريق ليس ممهداً فإن دول المركز ترى فى هذا تناقضاً مع مصالحها... إذن هى مسألة تحدى وصراع.

وهكذا يبين بوضوح أن المعرفة جلها أو كلها، خاصة العلوم الأساسية والمدارس الفكرية يتم انتاجها فى الخارج... وعالمية المعرفة لا تنفى أبداً مركزية الانتاج وتبعية الأطراف، وهى علاقة دينامية قابلة للتغير شريطة وعى بلدان الأطراف وتكثيف العمل العلمى المشترك فى تكامل وتضافر من أجل التحول إلى قوى انتاجية إبداعية للمعرفة وفقاً للمقتضيات الحضارية لهذا النشاط.

والحديث عن حرية انتقال المعلومات والتبادل الثقافى سيكون حديثاً لا معنى له حين يكون أحد الأطراف خاوى الوفاض عاطلاً من العطاء لا يملك إلا ثقافة اجتماعية مقطوعة الصلة بحضارة العصر مما يجعله فى موقع الضعف والاستهلاك. وحيثما تفاعلت ثقافتان وكانت إحداهما قوية والأخرى ضعيفة فإن الثقافة الأقوى تستوعب الأضعف وتمحوها مع الزمان. وينتفى التفاعل الذى شرطه الندية والكفاءة. وقوة الثقافة لا تأتى من استظهار الموروث بل تأتى من نشاط المجتمع نشاطاً منتجاً على مستوى المنافسة العصرية وتنظيم وإدارة المجتمع على نحو عصرى علاوة على جذور العراقة والتاريخ. ليس الموقف الصواب انزواء اجتماعياً واغتراباً فى الزمان مع السلف؛ وليس ارتماء فى أحضان الوافد القوى وإنما قبول التحدى والانتصار على أهواء الذات... تحدى ما هو متخلف فى الموروث وتحدى الوافد باستيعاب أسرار قوته

ومواكبته والسعى لتجاوزه مع توفير شروط الانتماء إلى العصر... وهذا ما فعلته اليابان حين قررت فى عصر الميجى الانفتاح على الغرب بعد أن جفت ينابيع التقليد ولم تعد هى مفتاح الدخول إلى حضارة العصر. قررت اليابان كما كان يقضى شعارها الاجتماعى القومى آنذاك والذى يلخص استراتيجيتها "أمة غنية وشعب قوى"، واتخذ تحديها وصراعها البعد التالى:

١ ـ مقرطة نظام الحكم.

٢ ـ رأسمالية صناعية انتاجية.

٣ ـ التعليم إجبارى للجميع.

٤ ـ جيش وطنى قوى.

٥ ـ استيعاب العلوم الأساسية والتطبيقية.

وحرى أن نقارن بين هذا وبين النهج الذى اتخذته إسرائيل أو الصهيونية وقد كانوا عصابات قبل أن تكون لهم دولة هى الآن إحدى الدول التى تشارك الولايات المتحدة الأمريكية فى مشروع حرب النجوم.

لهذا فإن الاستجابة الصحيحة إزاء العولمة وإزاء وضعنا المتدنى عند الحافة أن نضع خطة لدعم الاستقلال والحرية فى إطار النسق الدولى للمعرفة وبالتعاون والتخطيط مع بلدان العالم الثالث.

١ ـ أن يكون للبلدان العربية بناء على تنسيق وتعاون حقيقى إسهاماً واضحاً ومميزاً وقابلاً للتكامل مع النسق العالمى للمعرفة.

٢ ـ دعم التعاون الإقليمى العربى فى هذا الاتجاه وهو ما أشارت إليه اتفاقات ثقافية وتعليمية وعلمية عربية عديدة لم تر النور. ومن بينها إنشاء مؤسسة عربية للترجمة وحرية انتقال الكتاب.

٣ ـ تضافر الجهود مع بلدان العالم الثالث لمواجهة الاحتكار العالمى لانتاج وتوزيع المعرفة. ويمكن للمؤسسة العربية للترجمة المزمع إنشاؤها أن تكون منطلقاً وعنصراً أساسياً فى الدعوة إلى ذلك.

٤ ـ الوعى على المستوى الاجتماعى بحقيقة التحديات مهما غلفها البعض بعبارات مثل العولمة ـ والشرق أوسطية وأن تمايز بين عالمية الفكر والعلم وعالمية التحولات والإنجازات وبين عالمية الهيمنة والإدارة لصالح طرف بذاته... وهو ما يعنى الحاجة الماسة إلى عصر تنويرى جديد يعبر عن مصالح الإنسانية بعامة دون تمييز ويكون محور استقطاب عالمى*.

إننا لن نستطيع أن نصوغ معنى للوجود الإنسانى يقر فى نفوسنا ونشعر بالانتماء نحوه اجتماعياً، ونجاهد وصولاً إليه هدفاً أسمى فى إطار المنافسة العصرية إلا إذا امتلكنا ثقافة هى نتاج نشاطنا الاجتماعى أى فعاليتنا الإيجابية وتفاعلنا النشط على المستوى الحضارى. وهذا هو سبيلنا إلى صحوة حقيقية وليس انزواء اجتماعياً وردة إلى الماضى. وهكذا تكون أهدافنا نسقاً من ابتكارنا؛ نسقاً نحدده فى ضوء الخطوات التى ينبغى أن نترسمها نحو أهدافنا التى تصون وجودنا تأسيساً على علم نشارك فى إبداعه وانتاجه، وثقافة نسهم فى انتاجها. إذ بدون ذلك سنظل مستهلكين تابعين.

ولهذا حرى بنا أن تكون الترجمة هى إحدى خطواتنا الاجتماعية التى نخطوها فى توافق مع نسق المعلومات والمعارف وفى اتساق مع انتاج فكرى وعلمي ذاتي، في ضوء استراتيچية تنموية عربية بحيث ترسخ فى مجتمعنا ثقافة الإرادة والتغيير... الانتاج المعرفى والتقنى.

إن أزمة الانشطار الثقافى بين تقليد وتجريد، أو أصالة وحداثة إنما هى أزمة بطالة... أزمة مجتمع عاطل من العقل الاجتماعى العلمى والتقنى النشط. وحين يكون العلم والمعارف العلمية مجالاً لممارسة نشاطنا فسوف يكون نشاطنا حضارياً متقدماً أصيلاً مجسداً فى الفكر والعمل. وبهذا تزدهر وتتفتح ذاتيتنا أو هويتنا الاجتماعية وتتدعم أصالتنا على مستوى العصر، ويبين زيف الانشطار الوهمى المزعوم. وسوف تسهم الترجمة فى حسم هذه المشكلة إذ تهئ، من خلال المؤسسة العربية للترجمة، ومن خلال كل نشاط مؤسسى، الفرصة للاختيار الواعى العقلانى وأن يكون اختياراً جمعياً مخططاً وفقاً لما يتسق مع حركة نهضوية.

وتسهم الترجمة القائمة على التخطيط والاختيار الواعى العقلانى، فى دعم ديمقراطية المعرفة بإشاعة الثقافة العلمية فلا تكون حكراً على نخبة تتعامل مع اللغات الأجنبية مما يفضى إلى تهميش غيرهم. خاصة بعد شيوع تكنولوچيا سمعية وبصرية ألكترونية مصدراً للمعلومات وللمعايشة العالمية من شأنها أن ترسخ شعوراً بالتميز والتمايز والنخبوية المنعزلة والمتعالية. هذا علاوة على أن التقدم العلمى فى عصرنا لا يحقق ثمرته المرجوة إلا بفضل مناخ اجتماعى داعم يشمل

الإنسان العام المنتمى والمشارك إيجابياً فى إدارة المجتمع وشحذ طاقاته.

ومع تحدى العولمة والشرق أوسطية بات لزاماً ألا نترك الإنسان العربى العام نهباً مستباحاً لهذه الثقافة يختارها له الآخر أو يفرضها عليه وهو مهيض في خواء. وإنما تكون المعرفة اختيارنا نحن تعزيزاً للمنعة الثقافية التى تحصنه على أساس علمي ضد الانهيار أو الاستسلام لرياح مغرضة تهب عليه باسم العولمة. إذ نلاحظ كما أشرنا سابقاً أن قسطاً كبيراً من الترجمة فى العالم العربى هى اقتراحات بقوائم تعرضها مكاتب ومراكز وبعثات أجنبية دبلوماسية على الناشرين مثل مركز الكتاب الأمريكى ومؤسسة فولبرايت والبعثة الفرنسية... إلخ. ولهذا ندعو إلى تعريب الترجمة... الترجمة الواعية التى تحمى العقل من الانغلاق الفكرى، وتحميه كذلك من التبعية المطلقة والذوبان فى الآخر. وأن تكون هذه الترجمة المنتقاة عاملاً نشطاً فى صياغة إطار فكرى متبلور فى اتساق مع ثقافتنا ومشروعنا القومى... إنها الاختيار المؤسسى الواعى بدلاً من الرفض المطلق أو التسليم التام.

الترجمة وحوار المتوسط

حدثان شهدهما عام ١٩٩٥ ونحن فى مستهله، هما وثيقا الصلة بموضوعنا، وإن بديا متباعدين فى ظاهرهما....

الأول أن إسرائيل أطلقت قمراً صناعياً للتجسس. وقد عقبت صحيفة معاريف على ذلك الحدث قائلة: "إن المسافة بين إسرائيل وكل جيرانها تقاس الآن بالسنوات الضوئية". وهى فى هذا لسان حال دوائر أخرى كثيرة داخل إسرائيل وخارجها.

ودلالة الحدث أمران وليست القضية فى ظاهرها تجسس إسرائيل. فإن أسرارنا العربية ذائعة شائعة وإن خفيت على الشعوب... ولكن التجسس هنا بقمر إسرائيلى يعنى أن إسرائيل عزمت على أن تكون مشاركاً مستقلاً وأصيلاً فى الثورة التقنية العسكرية وجوهرها المعلومات تحصيلاً وتنظيماً ومعالجة وتوظيفاً لصالحها. النصر والسيادة فى هذا العصر للأقدر على امتلاك المعلومات، والأفضل والأسرع فى استخدامها. وحرب المعلومات ليست فقط حرب ميادين القتال ولكنها حرب صناعة أو انتاج وتحصيل معلومات، بل وقدرة على تشويه معلومات الخصم وصناعة وعيه والتلاعب به سواء فى ميادين الحياة المدنية أو العسكرية المختلفة. وصراع الحضارات هو دائماً وأبداً صراع معلومات. هذا عن قمر التجسس. أما الصاروخ حامل القمر فهو حامل تاريخ لتطور علمى وتعليمى وتنموى بعامة ودلالته أن إسرائيل تملك قاعدة علمية وتكنولوچية متطورة هى حصاد مجتمع علمى راق

ومستوى تعليمى متقدم، وثقافة سياسية واقتصادية على المستوى الاجتماعى تدعم هذا التطور وتغذيه وتهئ له الاستقلال والمشاركة الإيجابية عالمياً.

الحدث الثانى ندوة نظمتها مدرسة الترجمة فى تاليدو أو طليطلة فى إسبانيا بعنوان "تبادل الأفكار فى حوض المتوسط: دور الترجمة". والذى يعنينى هنا أن المتوسط مرة ثانية أو ثالثة فى تاريخ الحضارات يزمع التحول إلى ساحة لقاء ثقافى أى حوار ساخن أو هادئ بين ثقافات المجتمعات المتوسطية فى محيط عالمى متداخل مما سيكون له أثره فى تطورها وتنافسها وتحديد السيادة لبعض أطرافها. والسؤال ما هو سلاحنا إذا أردنا النزول كقوى عصرية إلى هذه الساحة التى لا ترحم؟ وفى تعقيب سريع بين حاصرتين على هذين الحدثين يلخص الموقف: جاء فى تحقيق نشرته الأهرام يوم ١٩٩٥/٥/١٥ أن الهيئة العامة للكتاب أصدرت إحصاء يقول إنه قد صدر فى مصر خلال عام ١٩٩٤ وحده ثلاثة آلاف عنوان عن الشعوذة والدجل صادفت رواجاً كبيراً!!

صراع الحضارات دائماً ينطوى على صراع ثقافى بمعنى الثقافة الأعم، كإطار معرفى قيمى حاكم للسلوك الاجتماعى. والأساس العميق لهذا الصراع، كما يقول توينبى، هو آلية التحدى والاستجابة، وهى آلية مستمرة استمرار المجتمعات. وها هو ذا التحدى ماثل أمامنا... واقع مادى يحاصرنا ويأزمنا... والسؤال عن الاستجابة وعن المستجيب فكراً وتأهيلاً.

الفجوة بيننا وبين العالم الآخر فجوة معرفية أو معلومات موظفة اجتماعياً بحيث نعيها ونستوعبها ونمارسها ونسهم فى إبداعها.

التخلف الذى نعانيه قبل أن يكون اقتصادياً هو تخلف ثقافى معرفى فى حضارة عالمية تمثل فيها المعرفة العلمية القوة المحركة والدافعة... المعرفة العلمية منهجاً للتفكير، ومبحثاً للنشاط الاجتماعى، وإطاراً حاكماً للسلوك. إن اللهاث وراء المعرفة أصبح سمة حضارة العصر حتى بين أكثر البلدان تقدماً.

ونحن فى مصر - أو العالم العربى - لن نستطيع أن نعيد تأسيس أنفسنا انطلاقاً من معطيات ذاتية وبعيداً عن التواصل الحر مع الثقافات العالمية. انفتاح على العالم، وانفتاح على تاريخنا الحضارى بكل تنوعاته منذ فجر الوعى الإنسانى... ومن شروط التفكير العلمى أن نملك إزاء هذا وذاك عقلاً علمياً ناقداً يشكل أساساً لرؤية مستقبلية، واستراتيچية تنموية شاملة لجميع أنشطة المجتمع عند مستوى العصر. إنها أخذ وعطاء، أو لنقل جناحاها دراسة إبداعية جذورها نشاط اجتماعى منتج وترجمة معبرة عن هذا ومتكاملة معه... تأخذ عن وعى نقدى، وتنتقى، وتحفز، وتنهض بالمجتمع فكراً ولغة ونشاطاً متعدد المناحى وتسهم فى صوغ منظومة معرفية قيمية تقف بالمجتمع نداً وكفؤاً فى ساحة النزال الحضارى، وله استقلاله الحداثى معاً.

***

ولكن ما هو نصيبنا من الفكر العلمى أخذاً وعطاء، ولن أقول التفكير العلمى، وإن كان كل منهما شرطاً أو وجهاً للآخر؟ وأعود لأسأل ما هو نصيبنا من الفكر العلمى العالمى ودوره الفاعل فى حياتنا (أى الترجمة العلمية)، وليس نصيبنا من الإنجازات التكنولوچية العلمية التى

نستوردها سلعاً استهلاكية؟ وكيف يجرى اختيار هذا النصيب، وهل يمثل دعامة أساسية فى بنية تنموية استراتيجية ورؤية مستقبلية لمجتمعاتنا العربية؟

ليست الترجمة نقل معارف فحسب، بل الترجمة تواصل حر بين الحضارات. ولا يكون هذا التواصل مثمراً إلا حين تؤرقنا روح المغامرة الإنسانية التى يذكيها نهم معرفى لاستيعاب إنجازات وفتوحات العلم المرتكز على عبقرية الإنسان من أجل تغيير الواقع: واقعنا الثقافى والبناء الاجتماعى لحاجتنا الملحة إلى ذلك؛ وبذا نكون بنائين للحضارة عن وعى وعقلانية... إننا قد ننقل النظريات أو المصطلحات ولكن يظل حديثنا بها رطاناً لأننا لا نستطيع أن ننقل الرأس المبدع، ولا حياة النشاط الاجتماعى الانتاجى الخالق لها... وقد نستورد نظريات ومناهج التعليم ولكننا لا نستطيع أن نستورد الشغف بالعلم، والنهج المعرفى أى روح التعلم ذاته.

المترجم العربي...
الحقوق والدور الاجتماعي

قضية المترجم لها أكثر من زاوية... الكفاءة اللغوية والثقافية وكذا الحقوق... وأيضاً المترجم الدور الاجتماعي.

أما من حيث الكفاءة والأهلية لأداء الدور فهذه مسألة إعداد وتنشئة اجتماعية في الأسرة والمدرسة والمجتمع بعامة. وإذا ألقينا نظرة على هذه العناصر الثلاثة (الأسرة، المدرسة، المجتمع) في واقعنا الراهن نجدها جميعاً لا تسهم في إعداد مترجم... ذلك أن المترجم ليس هدفاً من أهداف المجتمع، ولا محط طموح. ويكفي أن أقول إنه حين تقرر منذ بضع عقود أن ينتقل التلميذ من صف دراسي إلى الصف التالي على الرغم من رسوبه في مادتين فإن التلاميذ وأسرهم حرصوا على الشكل وهو عبور المراحل واختاروا الرسوب في مادتين أساسيتين هما اللغة الأجنبية والرياضيات... أي تخرجت أجيال عازفة عن اللغة الأجنبية وعن التفكير الرياضي، ومقطوعة الصلة بالثقافة العالمية وبأساس هام من أسس الفكر العصري وهو الرياضيات.

واقتران هذا للأسف بشيوع الأمية الثقافية، إذ لم تعد الحياة مع حضارة العصر فكراً وثقافة وعقلاً معياراً أو قيمة أو هدفاً. لذلك ليس غريباً أن لا نجد جيلاً جديداً من المترجمين الأكفاء وهو ما يؤكد تعطل

نشاط أساسي للمجتمع وهو نشاط الترجمة كحلقة وصل وتفاعل مع العالم المتقدم، وأداة حوار حضاري عصري... أعني أن المجتمع بسياسته هذه عطل الدور الاجتماعي للمترجم وهو دور أساسي تحرص عليه جميع المجتمعات التى عقدت العزم على النهوض، وتحرص على استيعاب علوم العصر.

ودور المترجم رهين تفهم المجتمع لحاجته إلى المعرفة دون حدود، وحاجته إلى التفاعل الفكرى (العلمى النظرى والتطبيقي والثقافى بعامة) مع حضارات الأمم واكتساب أسس النهوض والتقدم وصولاً إلى مستوى العطاء والإبداع. إن المترجم هو منفذ المجتمع للانفتاح على ثقافات الآخرين، ومن ثم التحرر من نير الانغلاق والتقوقع داخل شرنقة الأنا المهيضة، بل وحفزنا على النفاذ بفكرنا إلى دائرة فكر الآخر.

وحيث أن دور المترجم هو دور اجتماعى بامتياز، وأن الترجمة بهذا المعنى نشاط اجتماعى هادف، فإن إعداد المترجم وظيفة اجتماعية أولى بالرعاية. وها هنا يكون الإعداد والدور عملين متطابقين يكمل أحدهما الآخر. فالإعداد حق للمترجم على المجتمع وعلى نفسه؛ والدور حق للمجتمع على المترجم. ونذكر من عناصر التكوين الاجتماعى والذاتى السليم للمترجم كي يقوم بدوره على خير وجه:

١ ـ التكوين الثقافى الموسوعى، أى التوفر على ثقافة موسوعية تعزز وتكمل تخصصه العلمى.

٢ ـ إجادة لغتين على الأقل، اللغة التى يترجم إليها، واللغة التى

يترجم عنها، واستيعاب قواعدها وأدواتها اللغوية والمنطقية الأمر الذى يعينه على فهم أسرار اللغة وصياغة اللفظ وتوليد المصطلح.

٣ ـ النهم المعرفى والتجدد الثقافى بحيث يكون متابعاً لكل جديد وبهذا لا يكون مجرد ناقل أو وسيط بل يكون مبدعاً فى أدائه وإضافاته وتعليقاته، فضلاً عن الإحاطة بالسياق الفكرى العام والسياق التاريخى للنص الذى يعكف على ترجمته. وهكذا تكون الترجمة إبداعاً، وصياغتها باللغة الأم دقيقة فى التعبير واضحة يسيرة الفهم.

٤ ـ الإلمام بالقواعد المنهجية للترجمة من حيث التحليل لبنيات الجمل فى تركيباتها المتباينة، وتذوق النص، وتوفر الحس اللغوى فى دلالاته وتلويناته مع اختلاف السياق. ذلك لأن الترجمة هى قراءة وفهم لحضارة عبر إطار معرفى/ قيمى لحضارة أخرى. ومن هنا حرى بالمترجم أن تتوفر لديه القدرة على التحليل الدلالى للنص، وقدرة على اعتبار السياق العام.

٥ ـ وإذا كانت الترجمة أداة إثراء وتخصيب وتطوير للغة الأم فإن هذا يعنى أن للمترجم دور علمى إبداعى فى تطوير اللغة. وليس غريباً أن نجد اللغة العربية، كمثال، تحقق ثراء فى عصر ازدهار الترجمة قرين حركة النهضة الاجتماعية.

٦ ـ وحيث أن الترجمة إبداع علمى فإن المترجم هنا يلتزم موضوعية المنهج العلمى من حيث الأمانة والدقة وتجنب إقحام نوازع ذاتية قد تدفعه إلى الإبهام فى موضع الوضوح أو الاخفاء والالتواء فى موضع الصراحة.

أما عن حقوق المترجم فهى ضائعة مهدرة فى ظل ظروف الانحسار الثقافى والانكفاء على الذات فى المجتمع. ويكفى أن نعرف أن جميع مؤسسات النشر العامة والخاصة تعطى المترجم الفتات باستثناء مؤسسات بلاد النفط. وترفض مؤسسات كبرى الالتزام بالقواعد المتبعة مثل تحرير عقد بالترجمة لحرمان المترجم من حقوقه مستقبلاً. وعلى الرغم من أن الصكوك والاتفاقيات الدولية تعترف بأن المترجم مؤلف، وأن الترجمة نشاط إبداعي؛ فإن الأمر على خلاف ذلك فى عالمنا العربى. والمترجم مهدر الحقوق لأنه يعمل كفرد لا تربطه رابطة بغيره من المترجمين.

وجدير بالذكر هنا أن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التابعة لجامعة الدول العربية سارت خطوات جادة ومهمة فى هذا الاتجاه. ولكن الدول العربية ومؤسساتها فى الداخل لم تنفذ ما دعت إليه المنظمة العربية. نذكر على سبيل المثال "الاتفاقية العربية لحماية حقوق المؤلف" التى تعتبر المترجم مؤلفاً وتتضمن باباً عن نطاق الحماية والذى ينص على:

"يتمتع بالحماية أيضاً، ويعتبر مؤلفاً، لأغراض هذه الاتفاقية

أ - من قام بإذن المؤلف الأصلى بترجمة المصنف إلى لغة أخرى، وكذلك من قام بتلخيصه أو تحويره أو تعديله أو شرحه أو غير ذلك من الأوجه التى تظهر المصنف بشكل جديد".

وتضمنت الاتفاقية باباً، هو الباب السادس والخاص بوسائل حماية حقوق المؤلف (والمترجم طبعاً) والذى ورد فيه النص التالى:

المادة الثالثة والعشرون:

تعمل الدول الأعضاء على إنشاء مؤسسات وطنية لحماية حقوق المؤلف، ويحدد التشريع الوطنى بنية هذه المؤسسات واختصاصها.

المادة الرابعة والعشرون

أ - تنشأ لجنة دائمة لحماية حقوق المؤلف من ممثلى الدول الأعضاء لمتابعة هذه الاتفاقية وتبادل المعلومات بما يكفل حماية المصالح المعنوية والمادية للمؤلفين (والمترجمين).

وكلفت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الأستاذ الدكتور محمد حسام لطفى أستاذ القانون المدنى بوضع مشروع قانون نموذجى بشأن تنظيم مهنة الترجمة.

ويتمثل مشروع القانون فى خمسة أبواب تتعلق بالموضوعات الآتية:

أ - إنشاء النقابة وأحكام العضوية.

ب ـ النظام المالى للنقابة.

جـ ـ إدارة النقابة.

ء ـ التزامات المترجمين وتأديبهم.

هـ ـ صندوق المعاشات والإعانات.

وفى إشارة توضيحية نقرأ النص التالى:

"لم يشأ المشروع أن يخص المترجمين بحماية قانونية خاصة حيث يستفيد المترجم باعتباره مؤلفاً للنص الذى وضعه من الحماية الوطنية والدولية المقررة للمؤلفين... ولم يشأ المشروع أن يضع تعريفاً للمترجم حيث قصد تأكيد وضع المترجم كمؤلف".

[الخطة القومية للترجمة ـ إصدار المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ تونس ـ ١٩٩٦].

ومع هذا وقعت البلدان العربية اتفاقية الجات ولم تتخذ أى إجراء داخلى لتنفيذ ما نصت عليه مشروعات المنظمة ـ فاتفاقية الجات تحافظ على حقوق المؤلفين من أبناء العالم المتقدم بينما يظل المترجم فى أغلب البلدان العربية مهدر الحقوق وغير معترف به. وليس غريباً، والحال كذلك، ألا نجد فى البلدان العربية قاعدة معلومات عن المترجمين والمترجمات ولا نجد رابطة تحافظ على حقوق المترجم وتنهض بدوره الاجتماعى

الجات والكتاب المترجم والعولمة

نناقش أمورنا عادة بمنطق الإحالة... نحيل الأمر على الآخر دون الأنا. وهذا يجعلنا دائماً نرى فقط عنصر القوة والسلطة أو النفوذ وكأنهما البعد الواحد والوحيد الحاكم لمسار الظواهر دون تحليل لأسباب القوة ومصادر اكتسابها. وننسى هنا عنصر العمل والفعالية لدى الأنا، وأن علاقات الدول علاقات تفاعل وليست إما فعلاً أو انفعالاً... فاعلاً أو مفعولاً به... وإذا أكدنا على نفسها وفعاليتها هنا فإننا سوف نناقش القضية من زاويتين ومنطلقين: الأنا والآخر في تفاعل... دورى ودور الآخر... مسئوليتى ومسئولية الآخر... قبول التحدى وإرادة الفعل كمجال صراع.

وحين نقول الجات مثلاً فهذا فعل الآخر... والسؤال ماذا عن فعلى أنا؟... ليست القضية قيماً أخلاقية مجردة، ليست هى التماس الحق المجرد المطلق من أى صراع على المصالح لأننا نحن كذلك لسنا مجردين من المصالح ولكننا نبرر نهج التواكل والاستكانة والنزوع الاستهلاكى. وهذا النهج يحمل فى غيره ثنائية نقيضية هى إما أنا أو الآخر... الصدر أو القبر... الهيمنة لى مطلقة أو للآخر... وحين تتوفر لى القوة فأنا وحدى... وهذه شهادة التاريخ.

والجات، فى ضوء هذا الفهم، آلية تشغيل وضبط علاقات فى المستوى الدولى... فالعالم ينتج آلياته فى سياق التاريخ الاجتماعى

مقتضيات ورؤى العناصر المؤثرة الفاعلة طبقاً لمستوى حضارة العصر... وهى آلية جماعية الطابع بين العناصر الفاعلة، وليست فردية لدولة على حدة... ولكنها جماعية غير متجانسة، ليست نسيجاً متجانساً بل يحمل تناقضاته شأن أى واقع اجتماعى محلى أو عالمى؛ ومن ثم تنطوى على احتمالات الحركة والتغير.

والحضارة هى إبداع ثقافى وفكرى على مستوى المجتمع الدولى الآن. وهذا المنتج الثقافى الفكرى الجديد يحمل قدرات وسلطات، ويتحرك فى مناخ ثقافى اجتماعى، وفى إطار من العلاقات المتبادلة المتفاعلة. وهذا من شأنه أن يحدد رؤى حركية للواقع من الحاضر إلى المستقبل عبر الفعل الاجتماعى النشط... ولهذا يتحرك فى إطار تناقضات حتى وإن علا صوت أحد العناصر وساد الظن بأن الغلبة له، أو زعم أنه خاتم الحضارات ونهاية التاريخ وأن كلمته هى القول الفصل فى الفكر والمذاهب والعقائد... والأمر فى جميع الأحوال رهن فعالية أطراف المعادلة، والقدرة على خلق علاقات وأطر عمل جديد. وينطوى عادة هذا التطور الثقافى الفكرى على نذر وبشائر للإنسانية أو للعالم... فقد يكون أنياباً مفترسة فى يد العنصر الأقوى... وقد يكون رسالة للتقدم الإنسانى... وينطوى كذلك على طاقات وقوى جديدة، وآفاق أطماع جديدة مثلما ينطوى على لغة وفكر جديدين... وتثور معه قضايا تتعلق برؤى عن الإنسانية بعامة عن حقوق الإنسان، وعلاقة الإنسان بالطبيعة، وعن رؤية جديدة للحياة وللوجود، وعن حق التنوع والاختلاف للأفراد أو للمجتمعات، وعن الخصوصيات الثقافية والقومية... إلخ

لهذا فإن الحديث عن الجات في إطار العولمة [وأقصد بالعولمة هنا المدلول العلمي والثقافي لحضارة العصر دون مدلول الهيمنة عبر المضاربات المالية] لا يكتمل إلا إذا تناولنا هذه الاتفاقية أو مجموعة الاتفاقيات في ضوء الواقع العالمي الجديد في تطوره، وأيضاً في ضوء النظر إلى أنفسنا وواقعنا وحالنا، مع النظر إلى واقع الآخر وإمكاناته وأطماعه... والتساؤل في وضوح عن من الذي سيتعولم، أي المرشح لفرض العولمة عليه ويفقد دوره الإيجابي، إن وجد، في الإنجازات العلمية والثقافية العالمية ويكون مستهلكاً؟ ونسأل كذلك من الذي سيعولم؟ أي المنتج المهيمن بفضل انتاجه لسلعة مطلوبة داعمة للمرحلة الحضارية... أي من في موقع الفاعل؟ ومن في موقع المفعول به مرحلياً... إلى حين الفعل المضاد والمواجهة.

الجات كما أشرنا آلية إضافية إلى آليات أخرى: مثل صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي والتي تسيطر عليها الولايات المتحدة الأمريكية. وتهدف هذه الآليات جميعها إلى ضبط العلاقة، في ضوء ميزان القوى، بين دول المركز، أي التي لها غلبة الفعل الانتاجي، ولها الغلبة السياسية والعسكرية بدرجات متفاوتة؛ وبين هذه في مجموعها وبين دول الأطراف التي لها غلبة الفعل الاستهلاكي. وهذه الآليات جميعها رهن مرحلة بذاتها لواقع جديد هو واقع العولمة الذي هو صيرورة محدداتها ميزان القوى علمياً وتقنياً واقتصادياً وعسكرياً وثقافياً... وهذه عملية ظهرت مقدماتها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية.

ويمكن القول إن ما يجرى الآن هو بداية وليس نهاية، وأننا الآن بصدد بداية عملية نشطة يجرى خلالها تشكل الواقع العالمى على مدى هذه الصيرورة نتيجة سلسلة من الصراعات متعددة الأوجه والأطراف ليبلغ الواقع العالمى على الطريق التطورى نهاية المرحلة وبداية مرحلة أخرى. واطراد هذه الصيرورة لا يعنى بحال من الأحوال نهاية التاريخ، ولا ينفى إحتمالات تحولات جذرية فى مسار هذه المراحل.

ومادام حديثنا عن الجات والكتاب فإننا نركز الضوء على قسمة هامة مميزة لروح العصر، ونعنى بذلك العلم إنجازاً نظرياً وتطبيقياً، والعلم من حيث هو شبكة انتاج عالمية تتحكم فيها بلدان المركز، وهى البلدان المتقدمة صناعياً؛ والعلم من حيث هو نشاط اجتماعى مؤسسى من حيث هو سلعة متميزة تحظى ببراءة الاختراع وحق الملكية الفكرية.

وليس لنا أن نواجه واقع اتفاقيات الجات بحجج نظرية مفادها أن الغرب، مركز انتاج المعلومات، استعمرنا وعليه أن يرد دينه أو دفع التعويض ومع صواب هذا الرأى، إلا أن مثل هذا القول لن يعدو كونه صرخة فى واد لن يعيرها الأقوياء آذاناً صاغية. ومنطق العالم أن

الأقوى، اقتصادياً وعسكرياً وعلمياً هو الأقوى حجة، والمسموع كلمة، وأن الأضعف يخضع للأمر الواقع صاغراً ولو إلى حين. لم تأت اتفاقيات الجات بجديد فيما يتعلق بحقوق الملكية الفكرية. وإنفاذ هذه الاتفاقيات يشكل عبأً اقتصادياً على البلدان الفقيرة مما يزيدها فقراً وجهلاً. وتؤكد هذه الاتفاقيات أن الكتاب والمعلومات بعامة سلعة فى السوق لمن يشترى. ومن ثم يرى أن النهج الأسلم قبول التحدى والمنافسة وابتداع سبل جديدة للمنافسة فى انتاج الفكر والثقافة والعلم والمعلومات بعامة والثقافة. فما هو واقعنا فى هذه السوق... نحن والآخر؟ نسأل ماذا عن دورنا نحن فى انتاج الكتاب والمعلومات والثقافة والملكية الفكرية؟

قلة فى العالم تستأثر بانتاج بضاعة حضارة العصر... وكثرة غالبة معدمة لا تملك شيئاً، حظها صفر من الانتاج، لا تملك حتى القدرة على الاستهلاك الإيجابى المنشط، أعنى الاستهلاك بهدف الانتاج والإبداع والتطوير...

نصرخ لأن الكتاب المترجم ستزداد كلفته حين ندفع حقوق الملكية، ولا نسأل لماذا لا يصادف الكتاب المترجم إلى العربية رواجاً محلياً يعوض كلفته... والسبب شيوع الثقافة الشفاهية وغلبة الأمية الأبجدية التى تتجاوز ستين بالمائة، فضلاً عن مرض العزوف عن القراءة العلمية، وسيادة الأمية الثقافية التى تتجاوز تسعين بالمائة، ثم الانصراف الاجتماعى شبه الكامل عن الاهتمام بالعلم معرفة وتعليماً وبحثاً ومنهج تفكير، بل وإهمال مؤسساته اجتماعياً... وهو الفريضة الغائبة عن

وعينا. هذا بينما إذا عولجت أمراض الأمية الأبجدية والثقافية وأمراض الانصراف عن العلم سوف يروج الكتاب، ويحقق أرباحاً تفى بالحقوق القانونية للمؤلف والمترجم والناشر.

نجأر بالشكوى لأن الجات ستقف عائقاً تحول دون فيض الأعمال المترجمة وأنها سوف تحد من نشاطنا... ونسأل عن حجم الترجمة فى بلادنا كنشاط اجتماعى، وإلى أى حد كانت الترجمة نشاطاً اجتماعياً هادفاً ومتداخلاً فى نسيج ثقافتنا ودعامة لحركتنا النهضوية تلبية لطلب اجتماعى ظامئ ومتنامٍ؛ مقارنة بسيطة تكشف أن هناك من هو أحق بالصراخ والشكوى ولكنه آثر الفعل النشط ونجح فى المواجهة وأضحت الشكوى غير ذات موضوع. نظرة إلى نشاط الترجمة فى عدد من البلدان المصنفة بين البلدان النامية، وليستا ضمن بلدان العالم الأول، ومقارنة انتاجها بانتاجنا العربى تشكل إجابة واضحة أو فاضحة:

متوسط إجمالى الترجمة فى جميع البلدان العربية (٢٥٠ مليون نسمة)

٤٥٠ عنواناً أى حوالى كتابين لكل مليون

متوسط إجمالى الترجمة فى إسبانيا (٣٩ مليون نسمة)

٩٥٠٠ عنوان أى حوالى ٢٤٠ عنوان لكل مليون

متوسط إجمالى الترجمة فى المجر (١٠,٥ مليون نسمة)

١٢٠٠ عنوان أى حوالى ١٠٠ عنوان لكل مليون

إذن القضية أولاً هي نحن من حيث الانتاج والنهم المعرفي وكذلك توجهنا المعرفي أعني ما الذي نعكف على قراءته؟ وما نوع الكتب التي لها رواج واسع في حياتنا؟

في عصر العولمة انتاج المعلومات ونقلها سلعة عالمية السوق. يجري تبادل ملفات المعلومات داخل شبكات عالمية (الانترنت) بضاعة حاضرة بلغة السوق الذي تحتل فيه إسرائيل للأسف المرتبة الثانية في هذه التجارة المربحة بعد الولايات الأمريكية... والهيمنة في عصر العولمة للأقدر والأسرع والأكثف في مجال انتاج ونقل وتوزيع واستيعاب وتوظيف المعلومات.

أما نحن فواقعنا يشهد أننا نشبه تاجر العاديات الذي يعرض سلعاً ذات قيمة جمالية أو تاريخية تملأ العين، وتشبع الوجدان إلى حين، ولكن يكفي التطلع إليها وتأملها أو اقتناء بعضاً منها دون أن تصنع حياة لعصر جديد...

لهذا بات لزاماً لزوم الحياة والحفاظ على الوجود مواجهة النفس من أجل مواجهة الجات وجميع آليات دول المركز التي تدعم لها أسباب الهيمنة... حتى بات واجباً الانتصار على عوامل التواكل والكسل والركون إلى الاستهلاك السلبي واقتحام مجال الانتاج الإبداعي، والإسهام في المنتج الحضاري... أن نهئ أنفسنا لاقتحام سوق سلع المعلومات ونعرض المطلوب للسوق طبقاً لمستوى العصر... أن نكون عنصراً ضرورياً في حياة العصر لا عيالاً عليها.

ما هو نصيبنا من انتاج المعلومات لعرضها فى السوق العالمية المطالبة بحقنا فيها؟

ما هو الكتاب العربى الذى يصادف رواجاً أو يسد حاجة فى مجتمعات أو تجمعات غير عربية؟ فى مجال الآداب والفنون والعلوم الإنسانية بعامة، وكذا العلوم الطبيعية النظرية والتطبيقية (التقانة).

إننا نستطيع أن نواجه الجات على عدة مستويات منها:

الأول: تنظيم إدارة وتوزيع المنتج الفنى والأدبى والعلمى والأثرى السياحى لضمان عائد التصدير إلى الخارج سواء إلى الجاليات العربية أم إلى السوق الأجنبية بعامة. ويقتضى نجاح هذا البند الارتفاع بمستوى المنتج ليكون حضارياً عصرياً مطلوباً من الآخر، ويكون سلعة منافسة ذات عائد.

الثانى: اتخاذ التغييرات اللازمة فى البنية الاجتماعية والبنية الذهنية للإنسان العربى لكى نهئ المناخ للانتاج الإبداعى والإسهام فى إنجازات العصر، وهو أيضاً ذات المناخ الحافز للقراءة والتماس المعرفة بل ومغامرة الاكتشاف المعرفى ومن ثم رواج الكتاب.

الثالث: عقد اتفاقات مع دول شمال المتوسط أو الاتحاد الأوروبى إذ أن هذه البلدان تشجع نقل وتعريب إنجازاتها من الآداب والعلوم وترجمتها تعزيزاً للعلاقات بين الجنوب والشمال كأسلوب من أساليب مواجهة العولمة بمعنى الهيمنة الأمريكية ويقترن هذا أيضاً بالتخطيط، من خلال اتفاقات، مع بلدان العالم الثالث. ويمثل هذا النهج خطوة من

استراتيجية متكاملة نسميها عولمة المواجهة ولكن تأسيساً على فعالية ذاتية والاندماج فى العصر بعيداً عن الشعارات الكلامية الجوفاء.

ويدفعنا هذا إلى أن نسأل مرات ومرات:

ما مدى حاجتنا الاجتماعية إلى المعلومات؟... ما هو حجم ونوع الطلب الاجتماعى وما هو حجم ونوع العرض الذى نعرضه من المعلومات؟ ما هو دورنا فى انتاج التقانة الخاصة بمعدات الكومبيوتر سواء العتاد أى hardware أو تصميم البرامج software بحيث يلبى انتاجنا طلباً عالمياً. ونعود لنقول بكل أسف إن إسرائيل تحتل المرتبة الأولى فى بعض هذه المنتجات، وتبلغ صادراتها من المنتجات الألكترونية فى عام ١٩٩٧ ستة بلايين دولار أى ثلاثة أمثال دخل مصر من قناة السويس.

وإذا كانت الجات تعنى الحفاظ على حقوق الملكية الفكرية للمبدعين فإننا قبل أن نطعن فيها حرى بنا أن نعيد النظر إلى واقعنا فى ضوء رؤية استرتيچية هادفة لنكون فى موقع ووضع حضاريين، إذ يترى مجتمعنا بالمبدعين الذين تطالب بحقوق ملكيتهم الفكرية.

إن الجات بكل مساوئها هى بالنسبة للكتاب والمعلومات حافز يستفزنا أو يستنفرنا لكى نرقى بمستوى انتاجنا من الإنجازات العلمية النظرية والتطبيقية لتكون على مستوى المنافسة الحضارية.

إننا حين نتحدث عن تشجيع الصادرات لزيادة الدخل القومى تتجه الأنظار، وتتحول الجهود إلى السلع الخدمية المتوفرة سواء فى

صورة خامات أو مصنوعات، وننسى أن البحث العلمى هو أهم الصادرات رواجاً، وأهم قوة دعم للصادرات الخدمية. ويجرى تصدير البحث العلمى إما فى صورة برامج للكومبيوتر أو كتب أو دوريات تتضمن بحوثاً علمية دورية، وإما فى صورة سلع يجرى تطويرها تأسيساً على هذه البحوث بحيث تكون السلعة متضمنة الإنجاز العلمى الجديد كعامل ارتقاء سبب للتفوق والمنافسة، وأيضاً عامل رواج وربح. ومعنى هذاأن تصدير السلع لن يحقق نجاحاً إلا بفضل البحث العلمى. ولن يتأتى هذا إلا إذا توفرت للمجتمع قاعدة للبحث العلمى متكاملة مع قاعدة الانتاج... مجتمع يتعلم ويمارس العلم ويسوده مناخ علمى، والتنشئة الاجتماعية فيه تنشئة علمية فى البيت والمدرسة والإعلام... أبناؤه يعشقون مغامرة الاستكشاف العلمى بغير حدود ولا قيود... مجتمع لا يخشى الجديد وإنما يهوى الإبداع والتجديد.

ولنتأمل إسرائيل قطب التحدى والخطر المباشر على أرضنا، كمثال للمرة الرابعة والخامسة كيف أصبحت قوة انتاج علمى وتصدير للإنجازات العلمية بفضل قاعدة البحث العلمى والتنظيم الاجتماعى للموارد والطاقات المادية والبشرية. وأضحت دول كثيرة متقدمة مثل اليابان والولايات المتحدة وألمانيا، ودول نامية مثل الهند تسعى إليها وتعقد معها الاتفاقات لاستيراد منتجاتها التقنية، بل والمشاركة مع علمائها فى مراكز البحث الإسرائيلى وتشعر هذه الدول أنها بحاجة إلى إسرائيل التى تبيع من انتاجها العلمى والتقنى، فى صورة أبحاث أو إنجازات مادية، ما يعوضها عن الجات بل ويعود عليها بالربح الوفير،

ويكفل لها الأمن والبقاء واستمرار التحدى بفضل ما هيأه لها البحث العلمى والثقافى وتنظيم الموارد من سطوة وقوة... إذ لابد وأن يحتاج إلينا العالم لا أن يكون بقاؤنا صدقة من العالم، فالبقاء للأصلح...

ونسأل في المقابل عن تنظيمنا لمواردنا البشرية والمادية، وعن علاقاتنا الاجتماعية إلى أى حد هى حافزة، وعن بنيتنا الذهنية وتنشئتنا الاجتماعية والتعليمية... ولنسأل إلى أى حد تمثل جامعاتنا ومراكز أبحاثنا قبلة يقصدها علماء من العالم ليتزودوا بإنجازاتنا ويتدربوا فيها... وكم عدد علمائنا وباحثينا المبعوثين للدراسة والبحث فى الخارج واستيعاب علوم وتقانة الآخرين المتقدمين ليعودوا وهم ثروة اجتماعية وأداة إثراء وعطاء حضارى يمثل عائداً اقتصادياً...لا أريد أن أسأل عن س أو ص من العلماء المصريين فى الخارج... احتفت مصر مؤخراً بعالم مصرى زائر، وهناك غيره كثيرون من الطيور المهاجرة... ولكن لم يسأل أحد نفسه عن مصير هذا أو ذاك لو عاد إلى بلاده؟ ولعل الأصوب أن نسأل كم من آلاف وئدوا داخل المجتمع فكانوا ثروة مهدرة... ولا يزال.

إن العلم النظرى والتطبيقى هو روح العصر، وهو روح السوق العالمية فى عصر العولمة والهيمنة. السوق العالمية سوق معلومات إبداعاً وتوزيعاً وتوظيفاً، وهى معلومات فى صورة أبحاث أو كتب أو مجسدة فى سلع مادية انتاجية وخدمية. لا نريد أن نكون أشبه بمن يواجه قاطع طريق فيصرخ ويقنع بالصراخ، وإنما أن يتدبر أمره فيلتمس الحيلة والوسيلة للتصدى بسلاح العصر خاصة وأن الوضع العالمى هو

محصلة توازن قوى عسكرية وسياسية ومالية واقتصادية، وهى قوة ركيزتها العلم النظرى والتطبيقى. وهذا الوضع العالمى ليس قدراً محتوماً، وليس نهاية التاريخ بل التاريخ حركة عالمية هى فعالية المجتمعات والتى تفضى إلى تغيير أطراف المعادلة... إنه إرادة المجتمعات الفاعلة من أجل الانتصار على سلبيات النفس والانتصار على الآخر.

لغتنا وتعريب العلم

اللغة، الفكر، المعرفة، الفهم، الفعالية، الانتاجية والإبداعية، هذه جميعها تكاد تكون مفاهيم مترادفة، إذ لا لغة بدون فكر، ولا لغة أو فكر بدون فعالية انتاجية للأنشطة الإنسانية فى إطار علاقة الإنسان/ المجتمع بالوجود. وإذا كانت اللغة أداة تواصل فإنها تواصل فكرى لما هو موضوع فهم الإنسان النابع من تلك العلاقة الانتاجية النشطة. إذ إننا نعى الوجود ونتعامل معه ونعبر عنه باللغة ومن خلالها. فكأن اللغة هى الفكر والفعل والرمز فى آن.

وجهان للمشكلة

ومسألة التعريب هى فى ظنى ذات شقين:

أ ـ العلاقة بين لغة العلم واللغة الطبيعية فى المجتمع.

ب ـ صياغة المصطلحات العلمية.

والشق الأول شق أصيل. ذلك أننا بحاجة إلى بحث حقيقة أبنية اللغة الطبيعية وبحث العلاقة بين اللغة العلمية بما لها من خصوصيات وبين أبنية اللغة الطبيعية السائدة، وإلى أى حد تعتبر هذه العلاقة معززة أم معوقة لصياغة الفكر العلمى. فقد تكون أبنية اللغة الطبيعية فى المجتمع، كما هو شأنها فى الحضارات السابقة على حضارة

الصناعة، تعبيراً عن فكر أو ثقافة اجتماعية ترى الوجود تجليات وترى الظواهر موضوعاً لتأملات نظرية مجردة، ونتائج منسوبة إلى علة خارج الذات والطبيعة، وتجاوز فكر الإنسان وقدراته على البحث والاستكشاف. وها هنا تكون اللغة أو أبنية الفكر الاجتماعي، حائلاً دون فعالية الإرادة الإنسانية للتغييرواستكشاف قوانين اطراد الظواهر الطبيعية، أو لنقل أبنية تقنع بالتواكل والكسل الفكرى والإحالة إلى علة خارقة، إذ تكفى عبارة كلامية ينتهى عندها الإشكال، ويقنع الإنسان/ المجتمع بالتفسير الذى يتجاوز الطبيعة التى هى موضوع البحث العلمى. بينما البحث العلمى له لغة المنطق من حيث العلة والمعلول، ويعدى الزمان والمكان والعلاقات بين ظواهر طبيعية لها قوانينها التى تعبر عن حركتها واطرادها، ونشأتها وتكوينها، وتهيئ للإنسان إمكانية التحكم والسيطرة أى أن تكون ساحة لفعالية الإنسان وممارسة إرادته فى التغيير.

ويرتبط هذا أوثق ارتباط بالمنهج، ذلك لأن المنهج ليس فقط قواعد بحث بل توجه عقلى، ونهج فى الفهم، وأسلوب لغوى فى الصياغة، ونحو فى التعامل مع الواقع موضوع الدراسة.

لغتان وقطيعة معرفية

فاللغة بمترادفاتها سالفة الذكر هى الإنسان/ المجتمع دوراً وعلاقات وفاعلية وأسلوب هذه الفاعلية، فقد تكون اللغة فى مجتمع ما، ويحكم هذه الاعتبارات، لغة غارقة فى تهويمات ومفردات وعبارات نظرية مجردة أو تأملية ميتافيزيقية، ومن ثم تكشف عن مسافة فاصلة، هى

مسافة واقعية، تفصل بين اللغة وبين التعبير الذى يجسد فعالية مادية مباشرة وإيجابية بين الإنسان/ المجتمع والوجود، ومثل هذه اللغة تنتظر من الإنسان/ المجتمع أن يستن سنة جديدة فى علاقته أو فى حواره مع الوجود، أى تنتظر تحولاً حضارياً لتكون اللغة هى لغة الحضارة الجديدة وفكرها ومفاهيمها وفعاليتها الانتاجية. ولهذا يقال أن التحول الحضارى، وهو فى جوهره تحول مادى/ فكرى أو مادى/ روحى كما يفضل البعض أن يسميه هو أيضاً وبالضرورة تحول فى اللغة، أو أن لكل حضارة لغتها من حيث الدلول والتعبير عن الإنسان/ المجتمع الجديد فى علاقته الانتاجية النشطة بالوجود وكذا من حيث النظرة إلى الوجود ونهج التعامل معه.

ولعل هذا هو أحد الأسباب فى أن البعض يقاوم ويتشدد فى مقاومته لأى تجديد حضارى باسم الحفاظ على اللغة، خاصة إذا كانت اللغة هى إحدى خصوصياته أو مرتكزاته الحضارية التى بدونها يغدو صفراً من كل شىء حسب مفهومه التقليدى، وكأن حضارته هى فقط صياغة لغوية ومضامين تقليدية ورسوم كلامية مكتوبة أو مقروءة وليست فكراً وقيماً ونشاطاً إبداعياً له تاريخ، أى لا يراها تاريخية الدلالة ومرحلة من مراحل تطور اجتماعى مطرد المضمون أبداً. ومثل هذه اللغة تكون عائقاً أمام لغة العلم بل وأمام منهج البحث العلمى والفهم العلمى للظاهرة، ذلك لأنها تضع الإنسان/ المجتمع أسير نظرة إلى العالم منافية معرفياً لنظرة العلم.

إن مصطلح السبب أو السببية فى لغة التقليد مناف مدلولاً ونطاقاً

لمصطلح السببية فى لغة العلم. ولغة التأمل النظرى للظواهر من حيث هى تجليات تحد من قدرة الإنسان على الفعالية الإيجابية واقتحام الظاهرة وفهم قوانينها وتغيرها والخطو بها نحو هدف أو مصير يقرره الإنسان. وتعزو مثل هذه اللغة أسباب الظاهرة إلى علة خارجها، حتى ليتعذر فهمها على نحو آخر. وكل من يحاول التعبير بمثل هذه اللغة عن ظواهر العلم وعن منهج البحث العلمى وإنجازاته سوف يجد أن لغة التقليد لن تطاوعه بل سوف يخلط بين اللغتين غصباً ويشوههما فلا هى لغة تأمل ميتافيزيقى فى ظاهرها ولا هى لغة علم فى حقيقتها وإن ظل هو من حيث الفعل والفكر خارج ساحة العلم.

إن لغة العلم هى لغة تغيير الظاهرة بفضل فعل إنسانى إيجابى بعد فهم أسبابها من داخلها وإيمان بقدرة الفاعلية الإنسانية على التحكم فى مسارها ومن ثم فى مصير الإنسان. وصورة الكون والإنسان فى لغة التقليد أو حضارة ما قبل المنهج العلمى صورة تعبر عنها لغة تساوى فكراً سكونياً ثباتياً مطلقاً لا تاريخياً... على عكس الحال فى العلم، فالتحدث بلغة العلم لا ينقل صورة العالم إلى صاحب الفكر التقليدى، فلكل لغة صورتها عن الوجود أو رؤيتها أو فكرها... وصاحب الفكر التقليدى إذا ما اصطنع لغة العلم فى حديثه إنما يصطنع رطاناً غير ذى مدلول ما لم تحدث وظيفة معرفية تجعله يرى العالم من خلال إطار معرفى/ قيمى جديد هو إطار العلم، لذلك نرى التقليدى يصوغ عبارات إنشائية عصرية الشكل ليحدثنا عن صورة تقليدية، ويبين لنا بوضوح أن المفكر التقليدى، بدون هذه الوظيفة

المعرفية اجتماعياً والمتجاوبة مع نشاط مجتمعي، يرتد أو ينتكس سريعاً إلى التقليد فكراً أو سلوكاً، أي إطار معرفي/ قيمي فهو في باطن فكره له الحاكمية ومقطوع الصلة بالواقع.

وهكذا يمكن القول أن التقليدي بفكره أو بلغته إنما هو أحد تجليات أزمة الوعي الاجتماعي والتاريخ في مجتمع يعاني من السكون وعدم التجديد، تجديد الفعل والفكر ومن ثم تجديد اللغة. إن التعامل مع العصر يكون بفكر أي بلغة حضارة العصر التي هي منتج اجتماعي حضاري. وبهذه اللغة نقرأ حياتنا وتاريخنا وعالمنا قراءة جديدة، وتكون هي القراءة الأرجح صواباً والأنجع وسيلة لرسم معالم المستقبل والتحرك نحوه. ومن ثم نقول أن المسافة الفاصلة بين اللغتين هي مسافة حضارية. وتستلزم المصالحة أو عملية التصحيح نقلة حضارية بكل مقتضياتها: لغة ومنهج تفكير، ونظرة إلى العالم، ونهج تعامل أو تناول لظواهر الوجود، أعني أن قطع هذه المسافة الفاصلة لا يتأتى إلا بفضل وظيفة معرفية كاملة الأركان لينتقل الإنسان/ المجتمع نقلة حضارية جديدة.

إشكالية الدلالة :

أما مسألة المصطلح فإنها تتعلق برسم الكلمة ودلالتها وذيوعها اجتماعياً، ولا يخفى أننا نعاني مشكلة في هذه العناصر الثلاثة: الرسم والدلالة والرواج، فقد نجد مصطلحاً واحداً مرسوماً بالأحرف العربية في صياغات مختلفة باختلاف المترجم، وقد نجد مصطلحاً عربياً غير واضح المدلول لغياب إطاره الفكري ونشاطه العلمي المتولد عنه، وقد

يكون للرسم الواحد دلالات متباينة عند أصحابه فى اللغة الأجنبية لأسباب اجتماعية وثقافية وتكون المشكلة فى التعبير عن ذلك عربياً.

إن المصطلحات العلمية هى في حقيقتها إفراز ونتاج عمليات بحث فكرى. وهنا يكون المصطلح تعبيراً وتجسيداً لوحدة الفكر والفعل أو وحدة النشاط الاجتماعى الانتاجي والنشاط الفكرى معاً وليس فى استقلال. إذ يضع الباحث مصطلحاً للدلالة على موضوع اكتشافه، أو حدث ما يعايشه. ووضوح المعنى فى الأذهان لا يكون إلا بتصور الذهن لدلالة المصطلح، أى عناصر الحدث كآلية أو كموضوع. وطبعاً أننا لا ننشد امتلاك كلمة عربية جديدة نزهو بها أو إبدال منطوق غربى بمنطوق عربى، وإنما غايتنا وضوح المعنى والصورة الذهنية والمفهوم... الأمر الذى لا يبين جيداً إلا من خلال نشاط علمى مواز من شأنه أن يوضح بل ويضيف.

المصطلح معرفة وفهم :

والمصطلح العلمى ليس كلمة فقط منطوقة أو مكتوبة مودعة فى قاموس، بل هو جزء من نشاط معرفى هو بعض نسيج المجتمع... الكلمة فى حد ذاتها خاملة سلبية، ولكنها ضمن هذا النسيج تعبر عن فعالية نشطة داخل بنية فكرية تجسد علاقة الإنسان بالحياة، ومعبرة عن مستوى معرفى، وتتداخل فى رابطة عضوية بمصطلحات أخرى أى بنية معرفية دينامية آخذة فى التطور.

وهكذا لا يكون المصطلح كلمة جديدة، بل وحدة من وحدات لغة العلم التى تسعى إلى إثبات حصاد البحث والتجريب، أى إثبات

المعارف، إنه معرفة مجالها النشاط المجتمعى، وهو بهذا المعنى إنجاز بكل ما تعنيه كلمة إنجاز من فعالية إيجابية أو إضافة.

وهو أيضاً إنجاز من حيث أنه لبنة من لبنات نسيج النشاط المعرفى المجتمعى للتحقق تجريبياً أو نظرياً من العالم. إنه إنجاز من حيث أنه وليد شرعى لبحث نظرى أو تجريبى يتعين أن يكون ضمن إطار الوعى، ومن حيث أنه إنجاز فإن شأنه شأن العلم له دلالة تاريخية واجتماعية ومن ثم فهو رهن بزمان نشأ فيه أدى إلى ظهوره أو اندثاره... ورهن بظروف مجتمعية من حيث القيم التى تعززه أو تنبذه، والنشاط العلمى الذى يستوعبه ويمنحه الحياة.

الوظيفة الاجتماعية للمصطلح

المصطلحات العلمية تأتى ذلولة منقادة لمجتمع يمثل العلم فيه نشاطاً معرفياً سائداً، وفعالية لها دورها فى بناء المجتمع. هكذا الحال فى عصور الازدهار الحضارى، حيث الترجمة تلبية لحاجة اجتماعية، أى استجابة لنشاط انتاجى إبداعى. ليس الأمر أن هناك لغة متخلفة وأخرى متحضرة وإنما هل ثمة وظيفة اجتماعية للمصطلح أو سيظل مهجوراً أو محصوراً؟ فالنشاط العلمى الاجتماعى هو الكفيل بتيسير وإنجاز صوغ المصطلحات ومنحها الحياة، وإضافة الجديد، واستيعاب الوافد وليد حركة الإبداع العلمى النشطة فى العالم.

ومهمة التعريب لا تنتهى عند صياغة مصطلح برسم عربى ظناً منا أن المصطلح العلمى ثابت الدلالة يكفى تعريبه مرة وإلى الأبد. فهذا غير صحيح. إذ أن المصطلح، من حيث هو ظاهرة علمية، له حياة ومسار

وتجارب الأمم شواهد صدق على ما ذهبنا إليه، من ذلك تجارب اليابان والصين وإسرائيل. مثال إسرائيل واللغة العبرية. فقد كانت اللغة العبرية فى عداد اللغات الميتة. ولكن مع نشأة إسرائيل بدأ الاهتمام بإحياء اللغة العبرية لتكون أداة تواصل بين شتات المهاجرين الذين وفدوا من بلدان متعددة الألسن. ومع النشاط العلمى الاجتماعى سرعان ما أصبحت لغة حية متطورة ومعبرة عن مختلف دقائق العلوم. ولو كان المجتمع الإسرائيلى قنع بالأدب والشعر مظهراً للنهوض الحضارى لجاء إحياء العبرية في صورة لغة أدب وشعر من دون العلوم.

إن إحياء اللغة فى مجتمع عازم على استيعاب مختلف العلوم وممارستها والإفادة بها، والمساهمة فى النشاط العلمى الإبداعى جعل اللغة العبرية أداة متقدمة اغتنت بالمصطلحات العلمية الجديدة وقادرة على التعبير السهل والدقيق عن مختلف القضايا العلمية، وحدث هذا استجابة لحاجة ملحة لمجتمع نشط علمياً، وليس مجرد مجتمع يتلقى الوافد الجديد حسبما يأتى له.

لم يكن جوهر المشكلة هو ترجمة المصطلح بل تهيئة وظيفة اجتماعية للمصطلح، من خلال نشاط اجتماعى أصيل وفعال، فاللغة هى أكثر وسائل التفكير الإنسانى دقة ومرونة، ومن ثم لا تبقى ساكنة إلا بسكون مجتمعها، ومتطورة أبداً بتطوره. وهى فى نشأتها وارتقائها إنما تواكب التغيرات التى تطرأ على بنية الحياة الاجتماعية والثقافية وتعكس واقع الفعالية النشطة أو ركود المجتمع.

وإذا كانت اللغة نتاج مجتمع فإنها أيضاً وجود هذا المجتمع أو

صورته ولا تستطيع كلمة أن تكتسب أهلية العضوية فى نسيج اللغة، وشهادة بقاء وحياة، ما لم يكن لها رصيد فى النشاط العملى العلمى الذى يضفى عليها مشروعية الوجود.

جوهر القضية ليس كلمة عربية بديلة، بل فعل عربى بديل تجرى معه اللغة لساناً عربياً.

أزمة الترجمة العلمية
وتعريب المصطلح

أزمة الترجمة العلمية انعكاس لأزمة المجتمع، كذلك أزمة تعريب المصطلح العلمي تعبير عن هذه الأزمة المضاعفة. المصطلح لغة، واللغة فكر، والفكر وجه تعبيرى للفعل الاجتماعي النشط... إذ لا فكر في المجرد... أعنى لا فكر بدون فعل اجتماعي. والفكر في عصرنا الراهن فكر علمي لأنه وليد فعل اجتماعي علمي تجسده البحوث العلمية النظرية والعملية بقواعدها المنهجية، ولهذا نجد المصطلح العلمي يعود في نسبه نشأة وتكويناً إلى مركز أو موطن النشاط العلمي الاجتماعي. وحيث توجد مراكز البحث العلمي توجد مراكز الانتاج المعرفي التي تبدع اللغة أو المصطلح تعبيراً عن نشاطها الاجتماعي، وتكون هي موطن تصدير المعرفة والفكر والمصطلح. وتظهر هنا مشكلة الانفتاح... التلقي والترجمة والقدرة على الاستيعاب والمواكبة شريطة أن يعرف المجتمع طريقه ومفاتيح النهوض ومن ثم تكون له معايير الاختيار... وقد تكون المشكلة أزمة تحول دون ذلك كله وتكرس التخلف إذا ما سد المجتمع السبيل وآثر الانزواء والانغلاق، وقنع بمظاهر المحاكاة للاستهلاك، وعجز أو عزف عن بذل نشاط مجانس حضارياً يؤهل المجتمع وفق قضاياه ومشكلاته وخصوصيته لمواكبة الفكر، وابتداع المصطلح الذي يفضي إلى تطوير اللغة من خلال تطوير الفعل الاجتماعي الذي يجسده مشروع قومي.

وفى ضوء واقع حال الترجمة العربية وتناقضه مع مقتضيات العصر تتكشف أسباب ندرة وقصور الترجمة العلمية وأزمة تعريب المصطلح. وغنى عن البيان أن لا تقدم لأمة الآن بدون استيعاب العلوم الأساسية وتوظيف أسس العلم: نظريات ومنهج تفكير وتطبيقات عملية باعتبار العلم قوة حركة وهيمنة للبلدان المتقدمة. لقد تعثرت خطواتنا فى سبيل ترجمة أمهات الكتب ودوائر المعارف التى تسهم علاوة على نشاطنا الإبداعى الذاتى، فى صوغ نظام معرفى عصرى أى علمى.

والترجمة العلمية لا تأتى اعتسافاً، ولا تخضع لاختيارات فردية أو عشوائية، وإنما رهن توفر رؤية استراتيجية تنموية شاملة؛ وإيمان بدور الإنسان العام صاحب المصلحة أن يعايش مناخاً عاماً وتنشئة اجتماعية وتعليمية يتأهل بفضلهما للانتماء إلى المعرفة العلمية والتفكير العلمى، ويرى فيهما أداته لصنع المصير. هذا علاوة على تأسيس حقه اجتماعياً فى حرية التماس المعرفة ونهمه فى تحصيلها من منطلق عشق المغامرة والاستكشاف، وإيمانه بقيمة المعرفة الإنسانية فى تنوعها وتعدد مصادرها وحق تحصيلها وفق منهج بحث محدد القواعد باعتبار أنها الأقدر على صنع الحياة، وأنها ركيزة البناء الاجتماعى والسلوك الفردى، ودعامة الرفاه وحل مشكلات الحياة.

واستطراداً لهذا نقول إن التنمية الحقيقية بكل صورها، بما فى ذلك الثقافة والفكر، أى بناء الإنسان، رهن العلم... والتنمية تعامل اجتماعى نشط مع الطبيعة والإنسان... وهل يكون ذلك بغير العلم؟ وإذا كان الإنسان العام دعامة البناء الجديد، فهل يكون ذلك بدون تعليم

علمى ومعارف علمية ليكون أهلاً للفعل الإبداعى العلمى؟ والعلم بلا وطن، فهل نعيد بناء أنفسنا ونؤكد ذاتنا فى عزلة عن الآخر دون وعى نقدى وصناعة علمية تشمل الجميع؟

وليس غريباً أن عصر العلم بدأ مع عصر الصناعة... العلم المنهج والمبحث والبرهان العقلى والإيمان بالعقل النقدى وبالتغيير قانوناً

للوجود. ولكننا لا نزال نعيش عصر ما قبل العلم، وهذا ما تؤكده حال الترجمة العلمية فى عالمنا العربى. نعيش عصر ما قبل العلم ليس فقط بسبب غلبة الإنسانيات، وإن كان الفصل بين علوم إنسانية وعلوم طبيعية بات فصلاً غير مستساغ، فى ضوء الإيمان بوحدة العلم انطلاقاً من الإيمان بوحدة الإنسان - الكون، ناهيك عن تطور الإنسانيات وصبغتها العلمية؛ ولكن من حيث موقفنا من المعرفة، ونهجنا فى الحياة وافتقارنا إلى المنهج، وغياب البحث العلمى المؤسسى أو عزلته اجتماعياً ومن ثم غياب النشاط العلمى كفعل اجتماعى وغياب المناخ الحافز له والذى ينعكس فى غياب الطلب على الكتاب العلمى وقصور الاقبال على ترجمته. وإذا كان العلم إيماناً بالتغيير بناء على معرفة علمية بالواقع، فإننا فى ضوء إغفال العلم نعزف عن تغيير مجتمعنا ونعيش حياة استاتيكية أو راكدة أو حياة تخضع لنظام معرفى استاتيكى. ولذلك لا نجد قضية تغيير المجتمع هى القضية الملحة بل تغيير الذات، أى أن نغير ما بأنفسنا. ونعيش عصر ما قبل العلم متمثلاً فى غياب العلوم الأساسية والموسوعات العلمية والدوريات والمعاجم العلمية، غيابها إبداعاً وفعلاً... وهذا لغياب الفعل العلمى كنشاط اجتماعى. ونجد لغتنا، وهى فكرنا، لغة غير علمية وتعبر عن فكر بعيد كل البعد عن العلم.

ولأننا نعيش عصر ما قبل العلم بلغته فإننا نعيش أزمة التناقض بين العلم وبين اللغة العربية. والتزمنا هنا نهجاً خاطئاً إذ حصرنا مشكلة الترجمة العلمية فى المصطلح العلمى. وراج القول إنها مشكلة لغة. وأصبح الموقف إما دفاعاً عن اللغة أو اتهامها بالقصور ثم نراه

اتهاماً مردوداً إلى نحورنا لأن اللغة هى ذاتنا. ونحتال لدفع الاتهام دون أن نحتال لشق الطريق الصعب وهو تغيير المجتمع إنساناً وفكراً وسلوكاً ونظرة إلى الحياة وتقديساً للمعرفة العلمية. وذهب بنا الظن إلى أننا إذا ترجمنا المصطلح فقط تيسرت لنا المعرفة العلمية والنشاط العلمى. ونسينا أن اللغة فكر نشط أى أنها فعل اجتماعى فى الأساس. واللغة العلمية هى النشاط العلمى الذى يهئ إمكانات تطويع اللغة. الإنسان يكون إنساناً علمياً بفضل نشاطه العلمى وليس بما يمتلكه من مفردات، فالكلمات تأتى تالية للنشاط. والمجتمعات الى تقدمت هى تلك التى طوعت النشاط العلمى للغة الأم، أى بدأت به ثم عبرت عنه وأبدعت مصطلحاتها العلمية بفضل نشاطها ولم تتكب بداية ونهاية على تطويع المصطلح الأجنبى.

نحن ننظر إلى اللغة فى انفصال عن النشاط الاجتماعى كأن لها وجودها المستقل، ومن ثم نظن أن العيب والقصور فى اللغة وليس فى الإنسان الراكد الذى لا يفعل. ولهذا يدفع البعض قائلاً إن اللغة قادرة على أن تكون لغة علم... ولكن كيف والمجتمع عاطل صفر اليدين من النشاط العلمى؛ وحياة المصطلح رهن الاستعمال الاجتماعى له فى مجاله. ويرى البعض أيضاً أن قصور اللغة سببه الغزو اللغوى وليس الجمود أو حالة الخمول الاجتماعى social apathy. والسؤال هو كيف نوفر المصطلح ونحن عاطلون عن النشاط العلمى؟

المصطلح قرين ونتاج نشاط البحث العلمى. والمصطلح مفهوم، والمفهوم لا يتحصل إلا من خلال وبفضل نشاط البحث العلمى ومعايشة

العلم، لأن المصطلح لغة أى فكر أو مفهوم والذى هو الوجه الآخر للفعل الاجتماعى فى وحدة وتكامل. وسوف يظل العلماء يكتشفون ويبدعون، وسنظل نحن نكتشف ونبدع، وتظل اللغة تلهث ابتغاء صياغة المصطلحات الدالة على المفاهيم الجديدة. ولكن نشاطنا هو الأساس الأول لكى نواكب. ومع ترجمة القديم أو السابق نستطيع من خلال نشاطنا البحثى أن نلاحق ونضيف. إن لدينا الآن مئات الآلاف من المصطلحات العلمية التى تتزايد باطراد ولكن أين صداها فى التعليم أو فى المجتمع؟ وهى على كثرتها لم تصنع من مجتمعنا مجتمعاً علمياً. إن المصطلح ظاهرة اجتماعية يولد ويحيا من خلال النشاط الاجتماعى. ولغة العلم تنمو وتزدهر فى وطن يرعاها حين يجسدها فى فكره ونشاطه فتكون بعضاً من وجوده الحياتى.

البعد الاجتماعى
لأزمة ترجمة المصطلح

المصطلح والخطاب الاجتماعى

لم تبدأ اللغة بصيحة بل بفعل. والكلمة ليست صوتاً ولا الفعل حركة ظاهرية ولكنها ذلك النشاط التاريخى الفردى المجتمعى الفاعل فى الوجود والمنفعل بالوجود عبر دائرة تأويلية يتوسطها الجهاز العصبى. لذا فإن عبارة "الكلمة ـ الفعل ـ الفهم" تؤلف معاً فى تزامن بنية واحدة متحدة العناصر لوعى الإنسان من حيث هو إنسان اجتماعى فاعل متطور تاريخياً تطوراً ثقافياً بيولوچياً فى إطار من الوجود النفسى الفيزيقى... والوجود هنا ليس شيئاً مستقلاً عن الفكر. وكذلك الفكر واللغة والأشياء والنشاط فى التاريخ تؤلف جميعها الإنسان... أو خطاب الإنسان مع الطبيعة والمجتمع.

وهنا مكمن خطر. ففى حالة تخلف أو غياب عنصر الفعل النشط الانتاجى قد تأخذ الكلمة صورة استقلال ذاتى متوهم باعتبارها وعى الروح الفردى المثالى، ووعاء خبرة مقطوعة الصلة بالفعل أى بالواقع. وتتراص الكلمات طليقة بمحتواها الانفصامى... ويكون الفهم هنا غير عيارى من نسيج تخييلات ثقافة مجتمعية محلقة فى الفضاء.

والمصطلح شكل أرقى من أشكال الكلمة، قياساً إلى اللغة العادية.

ذلك أنه إحدى لبنات لغة العلم ويستهدف التعريف أو تحديد المفهوم فى دقة وإحكام وإيجاز. ولكنه من هذه الزاوية تحديداً يدخل أيضاً نطاق اللغة العامة وبناء الوعي. ذلك لأن العالم المتخصص مثلما يتحدث إلى أقرانه، يتواصل أيضاً مع الآخرين من غير أبناء تخصصه ومن ثم يتعين أن تكون لغته مفهومة للجميع. ومن هنا لا يكون المصطلح، ومن ثم لغة العلم، رموزاً اصطلاحية بين متخصصين بل لغة تفسير ووصف وتحليل لظواهر الكون. ولهذا تسهم لغة العلم بمصطلحاتها فى صياغة إطار معرفى علمى أو لنقل عصرى. واتفاق الآراء بشأن هذا الإطار هو ركيزة انتماء المجتمع إلى رؤية واحدة وموحِّدة للكون والإنسان ولا يكون الحوار بين أبنائه حوار طرشان.

المصطلح والحوار النشط

ووضع المصطلح فى لغة عربية، أو ترجمته إلى أى لغة، هو نوع من التقدمة التى يقدمها المؤمن الصادق على المذبح فى محراب العلم المؤسَّسى متوقعاً طرفاً آخر يقبله ويجد فيه اتساقاً مع حاجته ويكتمل بهذا طرفا الحوار اجتماعياً... وبذا يأخذ المصطلح مكانه ممارسة تكفل له الحياة فى سياق اجتماعى. فاللغة ليست مفردات وإنما هى نسيج خطاب مجتمعى غير منفصل عن نسيج الحياة الذى هو مجلى هذا الخطاب... وهكذا تكون حياة اللغة رهن نشاط اجتماعى هادف وإلا فقد الخطاب الاجتماعى مبرر وجوده.

أقول هذا لأننا فى مناقشاتنا لمسألة تعريب العلوم، وما أكثر ما قيل فى هذا الاتجاه، نذهب إلى أن جوهر الأزمة عندنا هى أزمة تعريب

أو صك مصطلحات وفق قواعد الاشتقاق اللغوى وكأن العلم هو المصطلح فقط. وغاب عن الأذهان أن المصطلح نتيجة وليس سبباً، إنه تلخيص أو تجريد موجز لحدث وقع ومن ثم فإن السبب هو الفعل أعني النشاط العلمى أولاً حسب مقتضيات العصر... العلم كمؤسسة اجتماعية وركن أساسى فى سدى ولحمة استراتيچية قومية للتطوير الحضارى... إذ فى ظل هذا النشاط وبفضله ينشأ المصطلح وتجرى لغة العلم على الألسن وتتشكل الرؤى... تتطور اللغة، وتتطور العقول... ويتطور واقع المجتمع على جميع المستويات. إننا نبرز قضية الشكل بينما جوهر الأزمة فى ظنى هى أزمة بطالة مصطلحية. قد تتوافر المصطلحات ولكنها عاطلة لم تتحول إلى مصطلحات شغالة اجتماعية... أى صيحة بلا عقل. ومن ثم ينعكس عليها حالنا من تشرذم وتباين وتعدد بلا رابط.

اللغة نشاط وتواصل معرفي

ليس مناط الأمر استنطاق القاموس، والتعسف أحياناً فى التخريج اللفظى؛ بل الأمر أبعد من ذلك هو المفاد والدلالة والتمثل الذهنى فى ضوء نشاط فعلى وعقلى إنسانى ييسر التعريف وبذا يتكامل الخطاب الاجتماعى. ذلك لأن اللفظ أداة لتحقيق وظيفة أو فى خدمة فعل اجتماعى يشتمل فى آن واحد على رؤية إلى العالم وعلى جهد بنائى أو إبداعى تطويرى. فاللغة كما قال سوسير فعل اجتماعى social act أى فعل من المجتمع وإليه حيث المجتمع مؤسسة فاعلة وبنية متطورة.

ويقول عالم الفيزياء ڤيرنر هايزبنرج من واقع خبرته [فى كتابه

"الفيزياء والفلسفة" - ترجمة د/ أحمد مستجير - المكتبة الأكاديمية - ١٩٩٣ - ص ١١٩] إن العلم يرتكز على اللغة كوسيلة اتصال وإننا نوسع اللغة إذ نوسع المعرفة العلمية. معنى هذا فى رأيى أن المصطلح العلمى أساسي ولكنه ليس علة وجود ذاته أو ليس وجوداً كافياً بذاته، فضلاً عن أنه ليس وحده هو المطلوب لأنه لا يمثل بذاته لغة وإنما قيمته تتحقق من توفر سياق لغة اتصال أى لغة علم وهو ما يعنى بالتالى وجود مجتمع علمى ثم يخلق هذا الصلة بينه وبين اللغة العادية بحكم الوظيفة الاجتماعية للعلم. ولغة العلم هى لغة تواصل، كما أنها أداة تصور العالم أيضاً وتعطى الصورة العلمية للعالم. ومن ثم فإن اتساع اللغة رهن باتساع النشاط المعرفى العلمى فى المجتمع بعامة. هذا وإلا ظلت لغة العلم نوعاً من الميتافيزيقا بالنسبة للمجتمع، وتجلت فى لغة المجتمع بالمقابل ما يمكن أن نسميه ميتافيزيقا الغياب أى غياب لغة العلم ورؤيته عن لغة المجتمع وينقطع حبل التفاهم وتجمد حركة المجتمع.

المفهوم ودقة الدلالة

والحياة فى ظل هذه الميتافيزيقا تجعلنا أسرى الشكل دون الدلالة حيث يغدو المصطلح على المستوى الاجتماعى كلمة وليس فكراً... صيحة وليس فعلاً... مفردات وليس وعياً.

نحن عادة عند ترجمة المصطلح العلمى نناقش دقة المصطلح لغوياً ولا نناقش علاقة المصطلح بالمفهوم أو الرؤية ودقة هذه العلاقة ومدى تطابقها. ولكن حيث أن المصطلح لبنة فى لغة علم وثيقة الصلة - حسبما هو مفترض - باللغة الطبيعية فلابد وأن يكون المصطلح على لسان

الباحث طرفاً في حوار أو خطاب اجتماعي يحقق تواصلاً عقلانياً ويضيف إلى الممارسة الحياتية قوة، ويسهم في تدقيق الرؤية، وبذا يكون الاستخدام الصحيح للمصطلح ودقة بنائه عاملين أساسيين في رؤية للكون هي الرؤية الصحيحة حسب مقتضى العلم أي رؤية عصرية. ولقد كانت مشكلة دقة التعريف أو التحديد الاصطلاحي إحدى مشكلات الفلسفة منذ القدم.

ولنا أن نسأل... ولكن لماذا نشأت هذه الحاجة إلى تدقيق العلاقة بين الكلمة والمفهوم وكذا الفهم على المستوى العام، أو مشكلة تحديد المفاهيم في اللغة؟ متى تبرز هذه المشكلة في مجتمع ما كمشكلة ملحة تتجاوز حدود الشكل إلى المضمون؟ وما هو نوع المجتمع الذي يضع في الصدارة مشكلة المعرفة ودقة المفهوم؟ ليس المجتمع الذي يعيش على الريع أو يأتيه رزقه منحة من الطبيعة أو من حيث لا يحتسب. إنه المجتمع الذي يتصف بكثافة النشاط العلمي وكثافة العمل الحياتي المنتج حيث عدم الدقة يسبب مشكلات وأخطاء وأخطار في الممارسة العملية. ففي هذا المجتمع تكون الكلمة = الحياة، ويكون المصطلح يساوي المفهوم أي إطاراً معرفياً ويتعذر فهمه أو قبوله أو تصوره إذا كان ضمن إطار مخالف، لأنه رهن إنجاز حقيقي واقعي عقلاني وقوة مؤثرة في بنية الثقافة العامة وسط نشاط عملي موضوعي لهذا المجتمع الخالق له.

تحديث اللغة وتحديث المجتمع

إن المصطلح العلمي المترجم في مجتمع راكد يكون مصطلحاً

استاتيكياً، فاقداً لعنصر التطور الحياتى بل وربما لا يسهم فى تغيير الرؤية العامة للكون إلا عند عدد محدود منعزل. بينما فى مجتمع يشكل العلم فيه مؤسسة نشطة فاعلة نجد المصطلح إبداعاً حياً ومتطوراً ووجوداً ماثلاً فى الذهن والواقع.

وغنى عن البيان أن تقديم مصطلح أو معجم مصطلحات يعنى جهداً أميناً طموحاً يستهدف المشاركة ضمن عملية ترشيد تاريخية شاملة لتحديث المجتمع على جميع المستويات بما فى ذلك تحديث اللغة. ولكن ماذا لو أن هذا الجهد يصب فى مجتمع راكد لا حاجة به إلى مفردات تتجاوز ميتافيزيقا الغياب؟ ستغدو الكلمة خلقاً ذاتياً فى حالة حصار وليست نبتاً طبيعياً نابعاً من خضم الحياة الصخابة، واستجابة لوظيفة واقعية وحاجات عملية تلح على إيجاد المصطلح ليأخذ سبيله فى حياة المجتمع وتكتمل به عناصر الخطاب العلمى والاجتماعى المحدَّد المفاهيم فى تطور ارتقائى نحو المزيد. وهنا فى مجتمع الفعل أو النشاط الانتاجى يغتنى المصطلح بما يملكه من رصيد فى نشاط المجتمع وما يحققه من حاجة اجتماعية وممارسة حياتية.

نحو إنشاء مؤسسة عربية للترجمة*

تمثل الترجمة نشاطاً اجتماعياً فى الاتجاه الصحيح، حين تكون وجهاً لاستراتيچية تنموية شاملة، ومن ثم دافعاً قومياً، وحاجة فعلية وليدة نشاط اجتماعى انتاجى، وبذا تكون بحق بعض النشاط المعبر عن الهوية الثقافية للمجتمع، وتسهم الترجمة إيجابياً فى تعزيز وجودنا المستقل، ودعم الروابط المشتركة لأبناء المجتمعات العربية وتوحيد ثقافتهم وفكرهم المشترك من خلال نظام تعليمى علمى مشترك، ونشاط علمى موحد أو متناسق، حيث يصبح النشاط العلمى نشاطاً مؤسسياً لمجتمع علمى موحد اللغة ومتكاملاً مع المجتمع الواسع.

ومن التحديات التى تواجهنا فى مجال الترجمة، علاوة على التحديات الحضارية، أننا لا نجد إجابة واضحة عن تساؤلات كثيرة:

لماذا نترجم؟ وماذا نترجم؟ ومن الذى يترجم؟ ولمن نترجم؟ ومن الناشر؟ وكيف نختار الكتب المستهدفة؟ وما مدى علمنا بالمنشور كله؟ ومدى علمنا بأهداف مجتمعنا، أى مدى تأصل هذه الأهداف - إن وجدت - فى بنية الوعى والقيم الاجتماعية؟ ومن الذى يوجه حركة الترجمة فى مجتمعنا الآن إن صح تسميتها حركة اجتماعية؟وما هو دور مؤسسات النشر فى تشجيع الحركة وانتمائها؟ والملاحظ أن نسبة كبيرة من المترجمات تدفع بها مؤسسات خارجية لها رؤيتها الخاصة المتمايزة. ثم أخيراً أين تصب جهود الترجمة فى المجتمع؟ وهل من

سبيل التنسيق المثمر بين هذه الجهود من حيث الاختيار والإصدار والانتشار؟

وضاعف من خطر التحديات أن تضاعفت كلفة طبع ونشر الكتاب بعد ارتفاع أسعار الورق وما فرضته اتفاقيات دولية جديدة.

نحن مقبلون على حقبة تثاقف قسرى مكثف، أو صراع ثقافى غير متكافئ. وهذه الحقبة أحد مظاهر التحدى الحضارى، سواء جرى التثاقف باسم المتوسطية أو الشرق أوسطية، أو العالمية. ونحن فى جميع الأحوال عاطلون من أسباب المناعة الثقافية التى تمثل العلم والانتاج العلمى ركيزتها مما يجعلنا فريسة محتملة، وبدلاً من أن يكون التفاعل ثقافياً صحياً سوف يتراوح ما بين الارتماء على الآخر أو الانكفاء على الذات، ونغدو نماذج لتاريخ انقرض.

إنها تحديات توجب اتخاذ خطوات جديدة جريئة غير مألوفة بدلاً من - أو قبل - أن نصبح بالحتم فريسة للأمية العلمية والضياع، حين نسير فى الترجمة فرادى على غير هدى، أو يعز علينا الحصول على الكتاب لتجاوز كلفته حدود الطاقة. الخطر جماعى، ومن ثم يتعين أن تكون الاستجابة جماعية، أعنى التزام نهج قائم على حشد الطاقات لا يلغى خصوصية النشر وإنما يجمع وينسق.

من هنا أدعو إلى قيام "مؤسسة عربية للترجمة". وأتجه بهذه الدعوة من منطلق الإيمان بأن الترجمة نشاط اجتماعى هادف له عائده المجتمعى الشامل، ومن مقتضى تضافر الجهود لتصب الروافد فى

مجرى رئيسى قادر على المواجهة وخلق الإمكانات والتقدم فى ثقة واعية.

ويحفزنى إلى هذه الدعوة إيمان بأن المجتمعات العربية لن تتمكن من تشكيل كيان مستقل متميز يسهم فى إحياء الفكر الوطنى والقومى الثقافى والحضارى فى اتساق مع العصر دون نهضة تنموية شاملة تطول مناشط الحياة، ومن ثم تجد تعبيرها الصادق فى اللغة التى تغدو لغة تعلم وتفكير وممارسة وإبداع... أى لغة انتاج حضارى علمى جديد، ولن يتأتى هذا بصورة متكاملة وهادفة ودامغة إلا بإنشاء مؤسسة تنسق بين دور للترجمة قادرة على خلق حركة ترجمة واسعة تستوعب جميع التيارات على اختلافها، وتستقطب الكفاءات، وتجعل لنشاط الترجمة دوراً ومكانة فى مجتمع يقدِّر انتاجها، ويؤازر جهودها، ويتولى أمرها من يؤثرون العلم وصالح الوطن على المغانم الأنانية العاجلة.

شروط نجاح المشروع

وتحقيق هذا لا يتوقف على اعتبارات فنية فحسب، ولكنه يستلزم رؤية سياسية على جميع المستويات: الدولة، والمؤسسات، والهيئات، والأفراد فى المجتمع، حيث تتضافر الجهود قومياً ووطنياً لمواجهة الصعوبات من أجل فرض:

١ ـ استراتيجية تنموية شاملة تتخذ العلم أساساً وهادياً لها وتحتل بؤرة الوعى العام، وتقوم على وعى علمى بالتحديات والأهداف.

٢ ـ تحول النشاط العلمى إلى نشاط مؤسسى داخلاً فى صلب هذه الاستراتيچية وداعماً للمناخ العلمى المحيط بالوعى الاجتماعى.

٣ ـ وضع تعليمى يضع نصب عينيه غرس التفكير العلمى منهجاً ومبحثاً ونظريات.

٤ ـ وضع ثقافى عام تجسده وسائل الإعلام والممارسات الحياتية والانفتاح الفكرى على الفكر العالمى بكل صوره المتعددة وبكل تناقضاته معنا.

٥ ـ الحرية وحقوق الإنسان العام. ذلك لأن الترجمة فى العالم العربى لا تزال جهد دولة مركزية يخضع لسلطانها، ولهذا تنزع إلى الترجمة الأدبية أو التقنية التى لا تتعارض مع بطش السلطة... السلطة السياسية أو الثقافية الموروثة... وغنى عن البيان أن عصر العلم رهن الديمقراطية... إذ إن ما قبل المجتمع الديمقراطى نشاط قبل علمى... وكلما اتسع نطاق الليبرالية اتسع نطاق النشاط العلمى بمدلوله ومضمونه الاجتماعيين، وحيث لا توجد نهضة حداثية حقيقية يقل الاهتمام بالجانب العلمى، وتضيق مساحة التفكير العلمى المنهجى.

والإنجاز العلمى يوصف بحق بأنه إنجاز عصر العلم لمجتمع ديمقراطى، أى مجتمع الإنسان العام الذى أصبح صاحب حق فى المشاركة فى صنع القرار ورسم طريق الحياة بناء على فكر حر، وحرية الوصول أو الحصول على المعلومات ونقدها والتمرد العقلانى المنهجى عليها... ولهذا فإن البعد السياسى والاقتصادى مكمل للبعد العلمى

التعليمى الثقافى. ودون هذه الشروط تفقد الترجمة العلمية الدافع إليها والسوق الرائجة لها.

وأرى أن تكون المؤسسة العربية للترجمة أشبه بالمنظمات غير الحكومية بعيداً عن سلطة السياسة والساسة كجهاز دولة حاكم وإن ضمت عناصر منها بحكم دورهم فى النشر أو الفكر، وبعيداً عن الفردية كنزعة تنأى عن المشاركة الإيجابية فيما هو اجتماعى.

الدور المنتظر للمؤسسة

نتوقع أن يكون للمؤسسة العربية فى ظل هذا المناخ وفى مواجهة التحديات الحضارية دورها الذى يفى بحاجة أمة تعى عبء مسئولية النهضة وشروطها، وحقيقة التكتلات الإقليمية وتدرك أسس التكافل والتضامن على الصعيد الاجتماعى الوطنى والقومى. ومن هنا يتمثل الدور المنتظر فى:

١ ـ جمع وتوحيد وتنسيق جهود الترجمة والنشر، والتكافل فى التكاليف من أجل إصدار الموسوعات وعيون المراجع والمعاجم التى تشكل حجر الأساس لأى نهضة علمية.

٢ ـ خلق حركة ترجمة تتسع لجميع التيارات فى تفاعلها وتداخلها وتعارضها فى آن واحد بحيث تكون الترجمة آلية ضرورية تلبى حاجة ملحة وواسعة النطاق مما يدعم كلا من التوجه الفكرى وحاجة السوق.

٣ ـ تجنب الأثر السلبى لطابع التربح التجارى والاختيار الفردى أو العشوائى الارتجالى فى مجال الترجمة سواء للكبار أم للأطفال.

٤ ـ خلق صلة إيجابية فاعلة مع المجامع العلمية بغية توحيد المصطلحات وإصدارها ضمن المنشورات لتكون مرجعاً.

٥ ـ التعاون بين الناشرين لإصدار ثبت ببليوجرافى سنوى بالمنشورات المترجمة وعرض خطط المستقبل لتكون موضوع حوار، فضلاً عن ندوة ليكون الحوار والندوة بمنزلة تغذية مرتدة تراجع وتضيف وتصحح وتحفز المناخ العام.

٦ ـ خلق غرفة اتصال للتنسيق وتبادل المعلومات بشأن الموضوعات والمصطلحات.

٧ ـ تحقيق تكامل اقتصادى فى مجال النشر وتكافل فى التوزيع، وتعاون فى إقامة معارض مشتركة متنقلة فى الأقطار العربية.

٨ ـ يمكن للمؤسسة الاتفاق باسم أطرافها مع الناشرين الأجانب، ومخاطبة دور النشر العالمية لعقد اتفاقات نشر مشترك أو للحصول على قوائم بالمنشورات تحت الطبع لاختيارات المستقبل.

٩ ـ تحديد وسيلة، دون فرض رقابة، لضمان غلبة الجيد فى السوق، بمعنى المتفق مع خطة البلاد التنموية فى خطوطها العريضة على المستوى القومى.

١٠ ـ يمكن للمؤسسة أن تكون لسان حال اتحاد الناشرين العرب فى الاتفاق مع الوزارات والهيئات الحكومية العربية لتزويد المكتبات العامة ومكتبات المدارس والهيئات بإصداراتها مما يساعد على رواج الكتب.

١١ ـ يمكن للمؤسسة أن تجرى اتفاقات مع المجالس القومية والأجهزة الثقافية فى البلدان العربية، ومع منظمات الجامعة العربية وكذا مع المنظمات والبعثات والمراكز الثقافية الدولية (اليونسكو ـ البعثة الفرنسية ـ الاتحاد الأوربى ـ فرانكلين... إلخ) ومع الحكومات والمجامع العلمية والاتحادات والنقابات لإصدار الكتب والمجلات العلمية والإفادة بامتيازات هذه الجهات فى حدود التوجه القومى.

ولعلنا نفيد فى هذا الصدد من التجربة اللبنانية حيث تتعاون دور النشر اللبنانية بفضل علاقاتها الوثيقة مع عدد من المنظمات المتخصصة التابعة للأمم المتحدة أو للجامعة العربية فى نشر إصدارات هذه المنظمات.

والجدير بالذكر هنا أن منظمة اليونسكو العالمية اقترحت فى عام ١٩٩٢ مشروع "الكتاب ـ الجريدة" لتطبيقه فى عدد من البلدان ومنها البلدان العربية، ومن المتوقع أن يشهد آخر عام ١٩٩٦ ولادة شبكة صحف يومية صادرة باللغة العربية برعاية منظمة اليونسكو من أجل إصدار دورى لملحقات أدبية مجانية.

والهدف من المشروع إصدار عمل أدبى معاصر شهرياً فى صورة ملحق صغير مترجم تزينه صور ورسوم فنانين معاصرين، مع تعريف بكاتب النص. وتشمل الترجمة: روايات ـ مجموعات قصصية ـ مختارات شعرية. وتقرر أن يكون مركز هذه الشبكة العربية فى بيروت. وسوف تحوز الشبكة على دعم تنظيمى ومادى من منظمة اليونسكو.

وسواء كانت الترجمة هنا من العربية أم إليها فإنها تستهدف الربح فضلاً عن أن الاختيارات لا تخضع لخطة ضمن استراتيچية تنموية شاملة، ناهيك عن تفرد الجانب الأدبى دون العلمى. ولكن إذا ما تحقق حلم إنشاء مؤسسة عربية للترجمة فسوف يتغير الموقف.

١٢ ـ تسهم المؤسسة فى التعريف بالمترجمين وتنظيم رابطة لهم ودعم اتحاد الناشرين العرب حيث تعتبر المؤسسة الوجه التنفيذى التنسيقى العربى للاتحاد.

١٣ ـ خلق رابطة عمل بأجهزة الإعلام والصحافة لخدمة نشاط النشر.

١٤ ـ تتفق المؤسسة مع عدد من المؤسسات والشركات والاتحادات فى البلدان العربية (التى تقبل طوعياً الإسهام بنسبة من صافى الأرباح السنوية، وقد تكون نصفاً فى المائة، فضلاً عن الهبات من الأفراد والهيئات العامة والخاصة). وليس هذا بدعاً فقد اعتاد أهل السياسة والجاه والمال ورجال الأعمال الإسهام فى تنشيط حركة الترجمة والتأليف لما أدركوه من تفاعل بين مجالات اهتماماتهم واهتمامات عدد من العلوم. ويشهد مجال النشر العديد من أمثلة التمويل الطوعى لهذا الهدف وإن كانت المشكلة هنا ضمان براءة التمويل والتبرع دون الحاجة إلى زج أو فرض اتجاهات أيديولوچية وحجب أخرى على حساب استراتيچية قومية.

الفكرة والتاريخ ودور الكويت

والدعوة إلى "مؤسسة عربية للترجمة" ليست وليدة اللحظة. إذ سبق أن دعت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم فى عام ١٩٧٣ إلى عقد "حلقة الترجمة فى الوطن العربى". وانعقدت الحلقة فى الكويت فى ١٩٧٣/١٢/٣١. وبحثت فى: "تنسيق حركة الترجمة فى البلاد العربية، وإقامة جهاز تنسيق على صعيد العالم العربى يتولى وضع خطة قومية للترجمة بالاشتراك مع الأجهزة الوطنية وبالتنسيق مع المنظمات الدولية والمؤسسات العلمية الأجنبية المعنية بالثقافة العربية".

وفى الفترة من ٨ إلى ١١ نوفمبر ١٩٨٢ عقدت أمانة المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب بالكويت الندوة الثانية بالتعاون مع المنظمة العربية للتربية والعلوم واتحاد الناشرين العرب. أصدرت الندوة توصيات من بينها:

- إنشاء مؤسسة عربية للتعريب والترجمة والتأليف والنشر تكمل عمل المؤسسات القائمة.

- تنفيذ الخطة القومية للترجمة التى وضعتها المنظمة العربية.

وتوالت اللقاءات بعد ذلك ولم ينجح شىء. بيد أن هذا لا يحول دون إحياء الذكرى أو الإلحاح فى الطلب مادام أنه حق... وإن كانت دونه مخاطر ليس أقلها شيوع الفردية فى العمل وفى التفكير بين الدول والهيئات، وغياب استراتيجية تنموية قومية ملزمة ودافعة، بل غياب الوعى بالتحديات وفقدان العزيمة المشتركة لمواجهتها، ثم الافتقار إلى

قيم عمل الفريق... ولكن ربما ننجح فى الاستهلال بالخطوة الأولى التى دونها لا تبدأ مسيرة الألف ميل.

وسوف تظل هناك تساؤلات كثيرة معلقة دون ريب، ربما تجيب عنها ندوة، أو خطوة جريئة بين دارين أو ثلاث من دور النشر تمثل النواة والطليعة وتكون شهادة جدوى.

المستقبل والمصير

نعود إلى ما بدأنا به من حيث مناهضة الترجمة والخوف من الانفتاح على العالم، وهو موقف مؤسس على ثقافتنا الاجتماعية المعاشة التى ترتكز على ثنائية نقيضية ambivalence إما الانزواء والانطواء أو الانطلاق من موقع الهيمنة، ثقافة تقبل التجانس مع ذاتها فقط... إما أنا أو الآخر. وأقول إن مناهضة الترجمة موقف داعم لحالة التبعية... وهى هنا تبعية ثقافية للماضى وأيضاً وفى الوقت نفسه تبعية لقوى مهيمنة أجنبية ومحلية... إن عطالة الفكر والفعل الاجتماعيين على مستوى العصر يجعل المجتمع فريسة لكلا الطرفين، ومن ثم فإنه موقف ضد التحريرية الإيجابية الفاعلة، ونراه تكريساً للتبعية، إنه يحجب الفكر الجديد، ويدعم أو يمهد الأرض لغزو ثقافى مناهض لنا ولمصالحنا، إذ يضعف المناعة... ثم إن أصحاب هذا الموقف لا يرون الحداثة سوى تكنولوجيا مستوردة ولا هم لهم إلا استهلاكها. وهذا دعم للتبعية الثقافية والاقتصادية... وقد تظن السلطات المستبدة أن بالإمكان محاصرة الفكر العلمى الجديد داخل مؤسسة عسكرية تهئ لها الحماية داخلياً وتترك لها مهام التصنيع. ولكن هذا نقيض مقتضى الحداثة التى هى تطور جذرى لدور الإنسان العام، ولا نجد نظاماً حاكماً سلك هذا المسلك واستطاع أن يبنى أمة ناهضة متحضرة وجيشاً قوياً صامداً، بل سرعان ما ينهار النظام أمام أول اختبار وتعود البلاد إلى حالتها

البدائية من جديد.

لهذا فإن الخوف من الترجمة هو دعوة للانغلاق والجمود. ولهذا أيضاً نرى أن الدعوة إلى الترجمة وتشجيع نشاط الترجمة بحاجة إلى إجابة على عدد من الأسئلة تكشف عن المضمون البنيوى الاجتماعي: ترجمة ماذا؟ ومن مَنْ؟ ولماذا؟ إذ يختلف الأمر حين يكون نشاط الترجمة رهن تطوير وتحديث وتحرير اجتماعى ونهوض علمي، وبين أن يكون استهلاكاً وترفاً. المهم ما هى الأسباب التى تمثل ضرورة اجتماعية... أى حاجة المجتمع النابعة من عملية تطوير داخلية تحدد المتطلبات اللازمة والداعمة... أى توفر إرادة وعمل إرادياً هو اختيار بين بدائل كثيرة وثقافات عديدة لا نقع أسرى لها، ويعمل العقل العربى فى ضوء ضروراته واختياراته التى هى وليدة فعل اجتماعى نشط وصولاً إلى أهدافه.

وطبيعى أن الترجمة كنشاط اجتماعى منفتح وناجح تأبى الانحصار فى إطار لغة واحدة ننقل عنها وإنما تتجه إلى لغات عديدة صاحبة إنجازات حضارية وسبَّاقة. ذلك أن الانحصار داخل لغة واحدة يعنى انحصاراً داخل نسق ثقافي واحد لفكر مجتمع بذاته. وهذا قد يكون له سلبياته. ولكن الترجمة عن لغات عديدة تفضى إلى دعم نهج التفتح ومبدأ التعددية والتنوع والتسامح علاوة على الاستعانة بالجديد لدعم نسق ثقافي محلى بفضل تفاعل فكرى نشط، مثال ذلك مدارس علم الاجتماع أو علم الاقتصاد أو الانثروبولوچيا أو الفلسفة أو النقد... إلخ إذا أخذنا فقط عن الولايات المتحدة الأمريكية مثلاً سوف يحصرنا

هذا فى إطار نسق ثقافى بذاته نظراً لأن العلم ليس محايداً مائة بالمائة. وتزداد التبعية لهذا الفكر أو ذاك إذا ما وقع العلم بين أيدى مجتمع عاطل عن الانتاج العلمى.

وإذا ما استعرضنا واقع نشاط الترجمة في العالم العربى نلحظ قصوراً وتدنياً شديدين كماً ونوعاً، ونلحظ فقداناً للتوازن بين المعارف المتنوعة، وما يشبه العزوف أو الانصراف عن العلوم الأساسية. وتكشف المقارنات الإحصائية عن أن البلدان العربية غير محددة ولا موحدة الهدف والرؤية، لذا تأتى الإصدارات تأليفاً وترجمة تعبيراً عن حالة التشتت المعرفى والمستقبلى. ونجد تضارباً ومفارقة واضحين بين الحاجة الاجتماعية من منظور عصرى وبين الفعل، أعنى بين مقتضيات النهوض وبين ما يحدث فعلاً ممثلاً فى إصدارات مؤلفة ومترجمة. ويؤكد هذا الحاجة إلى توحيد وتنسيق نشاط الترجمة، وهو ما من شأنه أن يسهم فى توحيد وتنسيق البنية الذهنية أو العقل العربى. ولن يتأتى هذا إلا إذا اقترن نشاط الترجمة الموحد والمنسق مؤسسياً برؤية عربية واضحة الأهداف والفكر، فاعلة ومبدعة ومنتجة... أى اقتران باستراتيچية تنموية عربية... وبدون ذلك سيكون كل نشاط فى مجال الترجمة حرثاً فى البحر.

لهذا نرى أن رسالة المؤسسة العربية للترجمة، فى ضوء ما حددناه من أهداف لها فى دراسة سابقة، رسالة شاقة عسيرة إذا نظرنا إليها فى ضوء القصور السائد فى العالم العربى، ومقتضيات النهضة من نقل المعارف كماً ونوعاً على نحو يجعلنا ندنو من العصر.

إن ما نحتاج إلى ترجمته كثير كثير وشديد العسر والتعقيد من معارف ومعلومات لملاحقة الجديد الذى يفيض، ومن معاجم وموسوعات تشكل أساساً للثقافة والعلم والتعليم. وهذا كله بحاجة إلى أموال طائلة، وجيوش من المترجمين الأكفاء المؤهلين... ثم إلي شعوب تواقة بعزم صادق إلى النهضة على أساس علمى، ومن ثم نهمة لمعرفة المزيد والمزيد... فالنهوض فى عصر العلم لا يعرف الشبع المعرفى بل جوع ونهم وقدرة على الاستيعاب والتمثل والإبداع والإفادة والتوظيف.

وإنشاء ونجاح مؤسسة عربية للترجمة يستلزم تغييراً جذرياً حضارياً فى البنية والعلاقات الاجتماعية وتهيئة مناخ عربى يتمثل فى:

١ ـ خطة قومية ذات محاور واضحة لإطار مفهومى مؤسس على بيان حالة الترجمة وموقع الترجمة من النهضة ودورها فى التنمية الثقافية الشاملة على نحو ما حاولنا أن نعرضه.

٢ ـ خطة اختيار الكتب المترجمة على المستوى العربى، والهدف من ذلك لتكون بعض نسيج النهضة الحضارية.

٣ ـ خطة إنشاء شبكة اتصال عربية بشأن الترجمة والتوثيق للكتب المترجمة.

٤ ـ خطة إنشاء رابطة للمترجمين ونظام تشريعى لهم. ويمكن الاستفادة هنا بما أنجزته المنظمة العربية.

٥ ـ دراسة واعية لواقع التحديات الداخلية والإقليمية والعالمية (حالة الأمية المتفشية، وحالة العزوف عن القراءة) فالقضية ثقافياً هى كتاب وقارئ.

٦ ـ شبكة اتصال وتنسيق عربى لشئون التوزيع والتكامل. إذ الملاحظ أن الحدود شبه مغلقة في وجه الكتاب بين بعض البلدان، وأن هناك شبه انفصال بين المشرق والمغرب العربيين.

وإذا كان لنا أن نتعلم درساً من عدونا فإننى للأسف أقدم كلمة ميجور هاركابى القائد العسكرى الإسرائيلى ورئيس جهاز الاستخبارات فى كتاب صدر له عام ١٩٦٣ تحت عنوان "الحرب النووية والسلام النووى" خاصة وأننا نلح الآن فى طلب السلام. إذ يقول:

"فى مقدور الدولة الصغيرة أن تتفوق على الدولة الكبيرة فى مضمار العلم إذا كانت:

* تحترم الفرد.

* يشيع فيها الإقبال على طلب العلم.

* تربط نفسها من خلال علمائها بمراكز الأبحاث والجامعات والمؤتمرات العالمية (الكليات غير المنظورة).

* تحسن التصرف فى إمكاناتها.

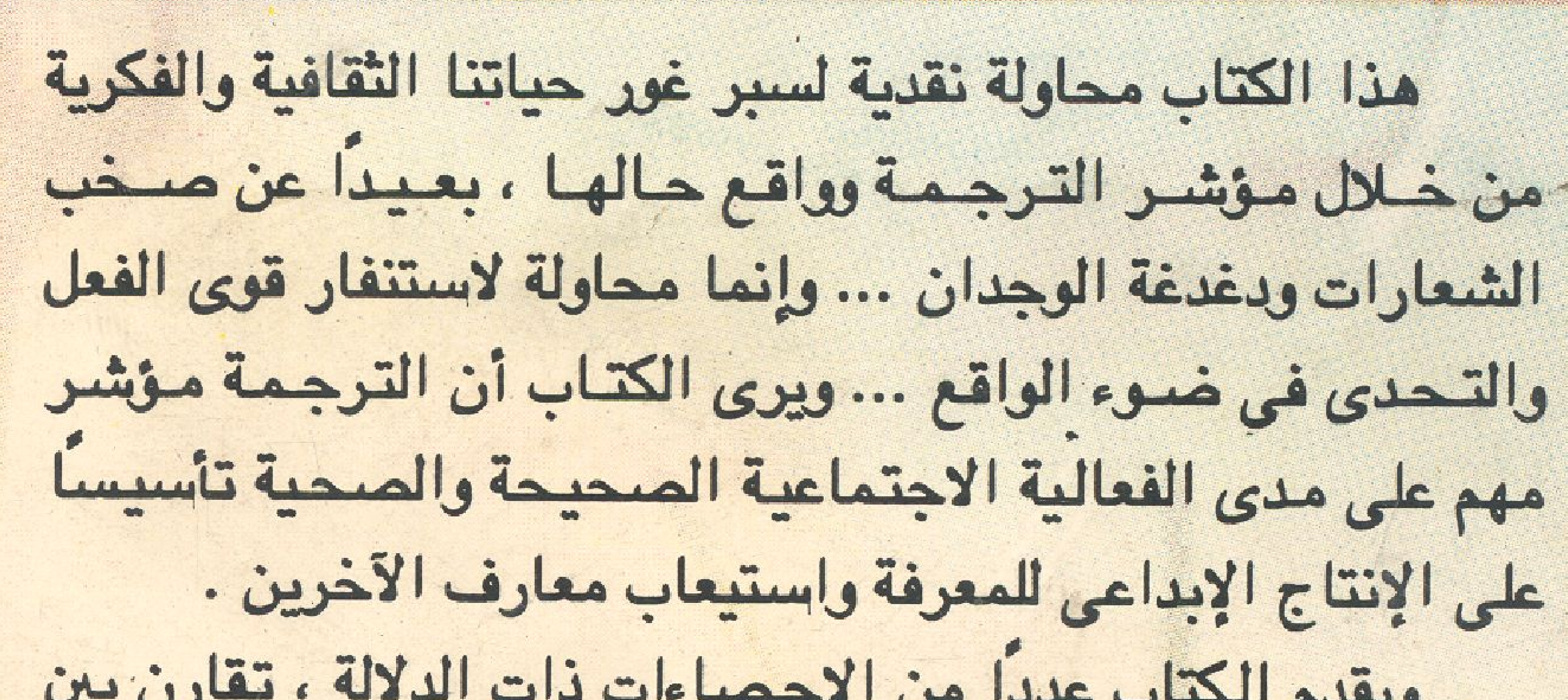
* تعمل على إذكاء روح التنافس العلمى بين المؤسسات العلمية المحلية فى إطار التنافس العلمى مع الخارج.

وإن أى نشاط علمى يظل ضئيلاً غير فاعل ما لم يشمل القطاع الأعظم من السكان" [أنطوان زحلان ـ العلم والتعليم العالى فى إسرائيل ـ ترجمة محمد صالح العالم ـ دار الهلال ـ القاهرة ١٩٧٠].

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٢٦٩٤ / ١٩٩٩

الترقيم الدولى (I. S. B. N. 977 - 305 - 111 - 0)



هذا الكتاب محاولة نقدية لسبر غور حياتنا الثقافية والفكرية من خلال مؤشر الترجمة وواقع حالها ، بعيداً عن صخب الشعارات ودغدغة الوجدان ... وإنما محاولة لاستنفار قوى الفعل والتحدى في ضوء الواقع ... ويرى الكتاب أن الترجمة مؤشر مهم على مدى الفعالية الاجتماعية الصحيحة والصحية تأسيساً على الإنتاج الإبداعى للمعرفة واستيعاب معارف الآخرين .

ويقدم الكتاب عدداً من الإحصاءات ذات الدلالة ، تقارن بين بلدان العالم العربى وبين عدد من بلدان العالم الثالث لبيان ضآلة المنتج عربيا ، وهامشية الوضع الفكرى العربى . ويقول الكتاب من واقع الإحصاءات إننا منصرفون عن القراءة وعن المعرفة الحضارية المعاصرة تحصيلاً وإنتاجاً ... وإننا لا نزال نعيش عصر الشفاهة .

ويعرض الكتاب لعدد من قضايا الترجمة ذات الصلة ، من ذلك : اللغة العربية وتعريب العلم ، وأزمة تعريب المصطلح ، والجات والكتاب المترجم والعولمة ، وواقع حال المترجم العربى من حيث الإعداد والدور الاجتماعى والحقوق والواجبات ... إلخ ، ويختم المؤلف الكتاب بالدعوة إلى إقامة مؤسسة عربية للترجمة تنهض بمشروع سبق أن دعت إليه المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ولكنه تعثر .

